التبرك

أحكامه ـ الأمور المباركة ـ المشروع منه والممنوع

إعداد / أم تميم

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسِنا ومنْ سيئاتِ أعمالِنا، منْ يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومنْ يُضلِلْ فلا هاديَ لهُ.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعدُ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

وبعد: فلا يخفى أن كل إنسان يحب أن تحصل له البركة، فالإنسان جُبل على حب الخير، ومن هذا الباب دخل الشيطان على كثير من عوام المسلمين – بل وبعض من ينتسب إلى العلم – ولبّس عليهم الأمر، فصاروا يتبرّكون بذوات الصالحين وآثارهم، والتمسّح بقبورهم، طالبين

حصول البركة لهم بهذه الأفعال، حتى انتهى الأمر بهم إلى دُعاء المقبورين من أولياء الله والاستغاثة بهم وطلب قضاء حوائجهم، مما أوقعهم في الشرك الأكبر.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل وقع التَّوسع في التبرّك، حتى انتهى الأمر بهم إلى التبرّك بالأشجار والجبال وبعض بقاع الأرض، وقد لبّس عليهم الشيطان أيضًا أن هذه الأشياء تحصل لهم بها البركة بمُجرد التمسّح بها أو الصّلاة فيها، وما أشبه ذلك.

ولا يخفى انتشار هذه الأمور في بلاد المسلمين، فقد وقعت طائفة من الناس لا يستهان بها في مثل هذه الشركيات.

ولأهمية الأمر عزمت على كتابة بحث يخص موضوع التبرك، أبين فيه أنواعه، وأحكامه، والمشروع منه والممنوع. وبفضل الله تعالى وقفت على كتاب للشيخ الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، فقد جمع في كتابه "التبرّك أنواعه وأحكامه" كل ما يتعلق بالتبرّك، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وقد وضعها في كتابه - وأصل الكتاب رسالة دكتوراه له - وقد راجع الكتاب وقدّم له العلامة الشيخ ابن جبرين رحمه الله، وجزى الله الشيخ خيرًا؛ فقد كفاني مؤنة البحث، ولكن لما كان الكتاب كبيرًا – يحوي أكثر من خمسمائة ورقة – رأيت أن أختصره اختصارًا غير مخلّ بالموضوع، وذلك حتى ينتفع الجميع. وقد وقفت على بعض الأحاديث التي لا تصح عن رسول الله ﷺ، وكذا بعض الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتي لم تصح عنهم أيضًا؛ فلم أذكرها في

البحث، وكذا غيّرت عناوين بعض المباحث والفصول بتقديم وتأخير وتصرف، مع إضافة بعض الأقوال لأهل العلم، وبعض الأحاديث التي تتعلق بالموضوع، وكذا مراجعة تخريج الأحاديث المذكورة في البحث، وذكر معنى بعضها، ومعنى بعض الكلمات الغريبة وغير ذلك.

وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول، تحت كل فصل مباحث.

وختامًا: لا يسعنى إلا أن أسأل الله جلّ في عُلاه أن يجعله عملًا مباركًا، ينتفع به المسلمون في شتى بقاع الأرض، وأن يتقبّل منا، إنه قريب مجيب الدعاء.

وصل اللّٰهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمُّ تميمٍ

عزَّةُ بنتُ محمد رشاد

١ ربيع أول ١٤٣٧ هـ

١٥-١٢-٢٠١٥ م

الفصل الأول
في معاني البركة والتبرّك

المبحث الأول: معنى البركة

المبحث الثاني: البركة والتبرّك في القرآن

المبحث الأول: معنى البركة

لغة: تطلق البركة على عدة معانٍ:

١ـ الثبوت واللزوم:

الباء، والراء، والكاف، أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعًا يقارب بعضها بعضًا، ويقال: برك البعير يبرُك بروكًا[١]....

قال الراغب رحمه الله: برك البعير ألقى رُكَبَه، واعتُبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابتركوا في الحرب أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب[٢].

٢ـ وتطلق البركة أيضًا على النماء والزيادة:

قال ابن دريد رحمه الله: يقال: لا بارك الله فيه: أي: لا نماء[٣].

قال الخليل رحمه الله: البركة من الزيادة والنماء [٤].

٣ـ وتطلق البركة على السعادة:

قال الفرّاء رحمه الله: في قول الله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، قال: البركات: السعادة[٥].

قال الأزهري رحمه الله بعد أن ذكر قول الفرّاء: وكذلك قوله في التشهد: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٣٥٢).

(٢) المفردات (ص: ٤٤).

(٣) جمهرة اللغة (١/٢٧٢).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (١/٢٣٠) وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٣١) والصحاح للجوهري (٤/١٥٧٥).

(٥) معاني القرآن للفرّاء (٢/٢٣).

ﷺ فقد نال السعادة المباركة الدائمة[1].

وأما معنى السعادة فهي: التوفيق للخير، كما جاء في لسان العرب[2]، إذا قيل: أسعد اللهُ العبد وسعده، فمعناه: وفقه الله لما يُرضيه عنه، فيسعد بتلك السعادة.

إذن البركة تعني: ثبوت الخير ولزومه، وزيادة الخير ونماءه، والسعادة، وهي: التوفيق للخير (أي: حصوله).

مسألة: معنى التبريك، ومعنى تبارك:

التبريك: هو الدّعاء للإنسان، وغيره بالبركة، وفي حديث أسماء رضي الله عنها: «**ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ**»[3]. أي: دعا له بالبركة[4].

معنى تبارك:

قال ابن دريد رحمه الله: و"تبارك" لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى[5]، ولا يقال: تبارك فلان في معنى عظُم، هذه صفة لا تنبغي إلا لله عز وجل[6].

اختلاف أهل اللغة في بيان معنى "تبارك":

١ - **قال الزجاج:** تبارك: تعالى وتعاظم.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٣٢).

(٢) اللسان (٣/٢١٤).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٩) ومسلم (٢١٤٦).

(٤) النهاية لابن الأثير (١/١٢٠).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز" (٧/٧٧).

(٦) جمهرة اللغة (١/٢٧٣) والقاموس (١/٢٥٨).

وقال الليث في تفسير (تبارك الله): تمجيد وتعظيم....

وقال الأزهري: ومعنى بركة الله: علوٌّ على كل حال[1].

وقال ابن دريد عن تفسير (تبارك الله) بالعُلوّ: لأن البركة في الشيء النماء بعد النقصان، وهذه صفة منفية عن الله عز وجل[2].

٢- **وقال أبو بكر:** معنى تبارك: تقدَّس، أي تطهَّر. والمقدَّس: المطهَّر[3].

٣- **وقال الزّجاج** في موضع آخر: "تبارك" تفاعل من البركة، وكذلك يقول أهل اللغة.

وقال: ومعنى البركة: الكثرة في كل خير[4].

وفي ذلك **قال ابن دريد:** (تبارك الله) كأنه تفاعل من "البركة"، وليس من النماء، وإنما هو راجع إلى الجلال والعظمة[5].

٤- **قال ابن الأنباري** رحمه الله: تبارك الله، أي: يُتبرَّك باسمه في كل أمر[6].

٥- معنى تبارك بالشيء: تفاعل به، كما جاء في "لسان العرب"[7].

قال ابن القيم رحمه الله: وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرة الخير ودوامه،

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٢٣٠، ٢٣١) بتصرف.
(٢) جمهرة اللغة (١/ ٢٧٢، ٢٧٣).
(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣١).
(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٨).
(٥) جمهرة اللغة (١/ ٢٧٣).
(٦) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٨).
(٧) انظر اللسان (١/ ٣٩٦).

ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلاً منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان.

ثم قال مُرجحًا أن معنى (تبارك) أقرب إلى الوصف من الفعل: لكنَّ الأليقَ باللفظة معنى الوصف لا الفعل، فإنه فعل لازم، مثل تعالى وتقدس وتعاظم، ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليًا ولا قدوسًا، ولا عظيمًا، هذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه... فكذلك "تبارك" لا يصح أن يكون معناها: بارك في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظًا ومعنى؟ هذا لازم وهذا متعدٍّ[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر مُرجحًا لما ذكره: هذا الثناء في حقه تعالى، إنما هو لوصف رجع إليه، كـ(تعالى)، فإنه تفاعل من "العلو"، ولهذا يُقرن بين هذين اللفظين، فيقال: (تبارك وتعالى) وفي دعاء القنوت: «**تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**»[2].

وهذا اللفظ قد ذكره الله سبحانه في المواضع التي أثنى فيها على نفسه بالجلال والعظمة، والأفعال الدالة على ربوبيته وإلهيته وحكمته وسائر صفات كماله، وأنه سبحانه قد أسند التبارك إلى اسمه، كما قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وفي حديث الاستفتاح: «**تبارك اسمك وتعالى جدك**»[3][4].

قال أيضًا: فتبارُكُه سبحانه يجمع هذا كله، دوام وجوده، وكثرة

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم برقم (٢٠١/ ٧٧١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢/ ٣٩٩).

(٤) انظر: جلاء الأفهام (١٧٨-١٨٠).

خيره، ومجده وعلوه، وعظمته وتقدّسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن، أنها تكون دالة على جملة معان، فيعبر هذا عن بعضها، وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله[1].

(١) المصدر السابق.

المبحث الثاني : البركة والتبرك في القرآن

وردت لفظة (البركة) وما تصرف منها في القرآن على ثمان صيغ، وهي: بارك- باركنا- بُورك- تبارك- بركات- بركاته- مبارك- مباركة.

وبعد تأمل تلك الآيات وتفاسيرها، تبين أن المقصود بالبركة، وما يتصرف منها ما يأتي:-

١- ثبوت الخير ودوامه: وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الأول للبركة (الثبوت واللزوم).

قال الراغب رحمه الله: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال الله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وسمّي بذلك؛ لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِرْكَة، والمبارك: ما فيه ذلك الخير[١].

قال الخازن رحمه الله: فـ(بركات السماء): المطر، و(بركات الأرض): النبات والثمار، وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده. وأصلُ البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وسُمي المطر بَرَكَة لثبوت البَرَكة فيه، وكذا ثبوت البَرَكة في نبات الأرض، لأنه نشأ عن بَرَكَة السماء، وهي المطر[٢].

٢- كثرة الخير وزيادته: وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الثاني للبركة، (النماء والزيادة).

---

(١) المفردات (٤٤).

(٢) تفسير الخازن المعروف بـ"التأويل في معاني التنزيل" (٢/٢٦٦).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]: جعله مباركًا لتضاعف العمل فيه، فالبركة: كثرة الخير[١].

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]: أي: كثير البركات والخيرات، لأن فيه خير الدنيا والآخرة[٢].

وقال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه قول رسول الله ﷺ في التشهد: «**وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»[٣]: أي: أثبِت له دوام ما أعطيته من التشريف والكرامة، وهو من: برك البعير، إذ ناخ في موضع فلزمه. وتطلق البركة أيضًا على الزيادة، والأصلُ: الأول[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له وزيادته، وهذا حقيقة البركة[٥].

ومن شواهد الحديث الشريف على أنه يُقصد بالبركة كثرة الخير: قصة جويرية بنت الحارث بن المصطلق لما تزوج الرسول ﷺ بها، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «**فما رأينا امرأةً كانت أعْظَمَ بركةً على قومها منها، أُعتق في سَبَبِها مئةُ أهلِ بَيْتٍ من بني المُصْطَلِقِ**»[٦].

---

(١) تفسير القرطبي (٤/١٣٩).
(٢) أضواء البيان (٤/٥٨٧).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري برقم (٣٣٦٩)، ومسلم برقم (٦٥/٤٠٥).
(٤) النهاية لابن الأثير (١/١٢٠).
(٥) جلاء الأفهام (١٨١).
(٦) **حسن**: سنن أبي داود بتحقيق الأرنؤوط (٣٩٣١).

الفصل الثاني
أنواع الأمور المباركة

ويحوي خمسة مباحث:

المبحث الأول: بركة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: بركة الأنبياء.

المبحث الثالث: الصالحون.

المبحث الرابع: المساجد.

المبحث الخامس: المبارك من الأزمنة.

الفصل الثاني

أنواع الأمور المباركة

ينبغي أن نعلم أنّ التبرّك هو: طلب البركة، والتبرّك بالشيء طلب البركة بواسطته، وأن البركة في القرآن والسنة- كما سبق بيانه-: ثبوت الخير ودوامه، أو: كثرة الخير وزيادته، أو اجتماعهما معًا.

فالتبرّك مشروع في الإسلام بضوابط، وليس مشروعًا على الإطلاق، وهذا الفصل ذكرت فيه جملة من الأمور المباركة، يمكن أن نلخّصها في خمسة أشياء:-

١- القرآن.

٢- الأنبياء.

٣- الصالحون.

٤- المساجد.

٥- المبارك من الأزمنة، وأمور أُخَر.

المبحث الأول : بركة القرآن الكريم

وصفه الله تعالى بأنه مُبارك في أربعة مواضع من آيات الكتاب، وهي:

قول الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

من بركات القرآن الكريم:

١- هو هدىً موصل إلى كل خير، وهادٍ إلى سعادة الدارين:

قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال جلّ عُلاه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تبارك وتعالى حكاية عن الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ [الجن: ١، ٢].

قال فخر الدين الرازي رحمه الله، وهو من المشهورين بالاشتغال في علم الكلام، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، قال: جرت سُنة الله تعالى بأنّ الباحث عنه والمتمسك به يحصل له عز الدنيا وسعادة الآخرة، وأنا قد نقلتُ أنواعًا من العلوم النقلية والعقلية، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم[1].

٢- شفاء من أمراض القلوب والأبدان لمن آمن بآياته وعمل بأحكامه:

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٤٤ ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال ابنُ القيم رحمه الله عن شفاء القرآن الكريم لأمراض القلب: جماع أمراض القلب هي: أمراض الشبهات والشهوات.

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ١٨٠).

والقرآن شفاء للنوعين.

ففيه من البيّنات والبراهين القطعية ما بيّن الحق والباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصوّر والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هى عليه ... فهو الشّفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه ...

وأمّا شفاؤه لمرض الشهوات: فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة، بالترغيب والترهيب، والتزهيد فى الدنيا، والترغيب فى الآخرة، والأمثال والقصص التى فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه فى مَعاشه ومَعاده، ويرغب عما يضره، فيصير القلب محبًا للرشد، مبغضًا للغي ...[1].

٣- هو خير عام لكل من آمن به وعمل بمعانيه:

قال الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: أنزل خيرًا، أي رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به[2].

ومن بركات القرآن: ما يحصل لقارئه من الأجر العظيم، والثواب الجزيل[3].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٤٤ – ٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٨).

(٣) سيأتي هذا مفصلًا في مبحث: التبرك بتلاوة القرآن.

المبحث الثاني : بركة الأنبياء

١ـ رسول الله ﷺ:

بركات النبي ﷺ كثيرة، وهي تنقسم إلى نوعين، هما: بركات معنوية، وبركات حسية.

أـ البركة المعنوية:

والمقصود بها ما يحصل من بركات رسالته ﷺ على أتباعه في الدنيا والآخرة، فقد كان سببًا في إخراجهم من الظلمات إلى النور، بدعوتهم إلى عبادة الله وحده مخلصين له الدين.

بـ البركة الحسية:

وهي على نوعين: بركة في أفعاله، وبركة في ذاته، وآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ.

النوع الأول: البركة في أفعاله، ومنها:

* تكثير الرسول ﷺ الماء، ونَبْعُه من بين أصابعه الشريفة.

* تكثيره ﷺ الطعام.

* إبراؤه المرضى وذوي العاهات، كما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ سأل: « **أَيْنَ عَلِيٌّ؟**» فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ[1] الحديث.

* ومنه: بركته ﷺ في إجابة الله تعالى لدعائه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦/٣٤).

إلى غير ذلك، كما دلت الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

النوع الثاني: البركة في ذاته وآثاره ﷺ:

وسيأتي بيان ذلك في مبحث التبرك المشروع.

ومن خلال تأمُّل أنواع بركات الرسول ﷺ يتضح أنها تشتمل على البركة الدينية والدنيوية، وأن البركات المعنوية أقرب إلى البركة الدينية، كما أن البركات الحسية أقرب إلى البركة الدنيوية، وأنّ رسول الله ﷺ مبارك في ذاته، وفي أفعاله، وفي آثاره. والله تعالى أعلم.

٢ـ بركات باقي الأنبياء:

*** بركة دعوتهم للآخرين:**

فجميع الأنبياء يدعون إلى إخلاص العبادة لله وحده، وعدم الإشراك معه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإذا تأملنا آثار دعوة الأنبياء والمرسلين- عليهم الصّلاة والسلام- للناس ونتائجها وجدنا أنها تحمل الهدي والنور للبشرية، والخير الوافر في الدنيا والآخرة، وهذا من دلائل عظم بركاتهم على غيرهم بتوفيق الله تعالى.

قال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه وتعالى في شأن الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

[المائدة: ٤٦].

ومن بركاتهم الدنيوية، على سبيل المثال لا الحصر:

* نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان في السفينة، وإغراق جميع الباقين، وهم الكفار.

قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [هود: ٤٨].

* تسخير الله تعالى الريح لسليمان- عليه السلام- تجري بأمره حيث أراد من البلاد.

* وكذا تسخير الشياطين له، للبناء، واستخراج ما في البحار من اللآلئ والجواهر.

* وكَفُّ شر الشياطين الآخرين حين تمردوا وعصوا سليمان، حيث قُيِّدوا بالأغلال. قال تعالى في شأن سليمان عليه السلام: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً [1] حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [ص: ٣٦-٣٨].

* إنعام الله تعالى على عيسى عليه السلام، فقد جعله مباركًا، أي: نافعًا للعباد، معلما للخير، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر حيثما كان.

جاء في القرآن على لسان عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

---

(١) رخاء: اللينة. المفردات (ص: ١٩٢).

* فمن بركته عليه السلام ظهور الثمرة من النخلة لأمه مريم، ونبع الماء من تحتها.

قال الشوكاني رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]: كان عيسى يبرئ من أمراض عدة، كما اشتمل عليه الإنجيل، وإنما خصّ الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرآن في الغالب بالمداواة[1].

(١) فتح القدير (١/٣٤٢).

المبحث الثالث : الصالحون

المراد بالصالحين لغة: مِن (صَلح)، الصاد واللام والحاء تدل على خلاف الفساد[1].

قال ابن الجوزي رحمه الله: الصالحون: اسمٌ لكُلّ مَن صلحت سريرته وعلانيته[2].

وقيل: الصّارفون أعمارهم في طاعة الله تعالى، وأموالهم في مرضاته سبحانه [3]، وقيل غير ذلك.

وعلى أي حال: فهذه التعريفات تدل على أنهم المؤمنون، أصحاب الأعمال الصالحة، القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عباده، المستقيمة أحوالهم.

وبناء على هذا: فلفظ (الصالحون) عام يشمل الأنبياء والملائكة[4].
وقد يسمّى الصالحون بالأولياء، أو: أولياء الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالَوْه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأَمروا

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٤).
(٢) زاد المسير (٢/ ١٧٢).
(٣) روح المعاني للألوسي (٨/ ٧٨).
(٤) راجع زاد المسير (٢/ ١٢٧) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

بما يأمر، ونهوا عما نهى[1].

بركات الصالحين وفضائلهم:

يمكن بيان ذلك في أشياء:-

أولها: ما عُرفوا به من الاستقامة:

فهم مطيعون لربهم ومطيعون لرسوله ﷺ، مع الإخلاص في العبادة لله تعالى.

ولا شك أنّ من عمل بهذه الإطاعة تحصّل على بركتها وثمرتها، وذلك هو الخير الدنيوي والأخروي، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة[2].

ولو تتبعنا لفظة (الصالحون) ومشتقاتها- التي وردت كثيرًا في الكتاب والسنة- لوجدنا أنها لا تساق إلا في مجال المدح والثناء والتشريف.

وثانيها: المنافع الحاصلة بسببهم:

للصالحين- بتوفيق الله تعالى ثم ببركتهم- منافع دينية ودنيوية لغيرهم، حتى للكفار، ومن ذلك مما يأتي:

١- انتفاع الناس بأعمالهم: ولهذا الأمر عدة طرق، منها:-

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٦٩).

* دعوة الناس جميعًا إلى الله سبحانه وتعالى، والقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتوجيه الناس إلى الخير وإعانتهم عليه، والقيام بواجب النصيحة.

* تعريف المؤمنين بدينهم وأحكامه وآدابه، وهذا يقوم به العلماء منهم، كما ورد في الحديث: «**العُلماء ورثة الأنبياء**»[1].

* الإحسان إلى الآخرين بما يستطيعون من بذل المال وغيره، والمساعدة بأي وسيلة.

* الدعاء للناس ولا سيما المؤمنين منهم، فهم يدعون للكفار بالهداية، وللمؤمنين بالتوفيق والصلاح ومغفرة الذنوب ونحو ذلك، ولا يخفى الأثر العظيم النافع للدعاء دنيا وأخرى، خاصة إذا صدر من الصالحين منهم.

فمنافع الصالحين لغيرهم عديدة، وهذا يدل على بركتهم.

قال ابن القيم رحمه الله: النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها، والمبارك من الناس- أينما كان- هو الذي ينتفع به حيث حل[2].

٢- حصول الخير والبركة للمسلمين:

وذلك ببركة طاعة الصالحين وصلاحهم ودعائهم[3].

---

(١) **صحيح**: انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني، حديث رقم (٦٢٩٧).

(٢) انظر: الطب النبوي (١٢٤) والوابل الصيب (١٨٥).

(٣) إفادة من كلام شيخ الإسلام عن سؤال يتعلق ببركة الأشخاص الصالحين- مجموع الفتاوى (١١/١١٣-١١٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وجاء في صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ قال: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟**»(١).

قال بعض العلماء: سبب تخصيص الضعفاء لأنهم أشد إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا(٢).

٣- دَفْعُ الله تعالى الشرور والنقم والعذاب عن الناس ببركة الصالحين ودعائهم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ولذا لما قالت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها - حين أخبرها الرسول ﷺ باقتراب بعض الفتن، قالت رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: «**نعم إذا كثُر الخبث**»(٣). ويُرفع العذاب عن الناس ببركة الصالحين.

وهذه البركة تشمل الكفار والعصاة، إذا كانوا بين أظهر الصالحين.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد يدفع الله العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب مَن بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) فتح الباري (٦/ ٨٩).

(٣) أي: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم. تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٤).

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، فلولا الضعفاء والمؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار لعذَّب الله الكفار[١].

ولكثرة منافع المؤمن وعموم بركته، فقد شبه المصطفى ﷺ النخلة- لكثرة منافعها- بالمسلم بقوله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ**»[٢].

(١) مجموع الفتاوى (١١/١١٣-١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الرابع : المساجد

أولاً: بركة المسجد الحرام:

نبدأ بذكر فضائل المسجد الحرام وبركاته:

* **فضل الصلاة فيه:** كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»(١).

وفي رواية لأحمد: «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هذا**»(٢).

أي: أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى- عدا مسجد رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى- كما ورد ذلك صريحًا في بعض الأحاديث(٣).

* **فضل الأعمال الصالحة فيه:** ومنها الطواف بالبيت في أي ساعة من الليل أو النهار، حتى في أوقات الكراهة على الراجح من أقوال أهل العلم، كما جاء في حديث جُبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا يَطُوفُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَيُصَلِّي أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»(٤).

* **مناسك الحج والعمرة:** لا تتم إلا بالطواف بالبيت والسعي بين

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠) ومسلم (٥٠٥/ ١٣٩٤).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦١١٧).
(٣) انظر على سبيل المثال: سنن ابن ماجة (١/ ٤٥٠) مسند أحمد (٣/٣٤٣) وغيرهما.
(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٨٩٤).

الصفا والمروة، وبذلك تحصل البركة للحاج أو المعتمر، لما في الحج والعمرة من عظم الثواب، والعفو ومغفرة الذنوب، وغير ذلك.

ثانيًا: بركة مسجد النبي ﷺ:

هذا المسجد أنشأه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بعد مسجد قُباء- على الراجح من أقوال أهل العلم- حين وصوله إلى المدينة مهاجرًا من مكة، ومن بركته:

* أن الصلاة فيه بألف صلاة مما سواه من المساجد، وقد تقدم الحديث.

* أنّ فيه الروضة ومنبره، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في بيان خلاصة أقوال العلماء في معنى الحديث: أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة، وحصول السعادة، بما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده ﷺ؛ فيكون تشبيهًا بغير أداة.

أو المعنى: أنّ العبادة فيها تؤدّي إلى الجنة؛ فيكون مجازًا، أو هو على ظاهره، والمراد أنه روضة حقيقية، بأن ينتقل هذا الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة(٢).

وقوله ﷺ: «**ومنبري على حوضي**»، قال أكثر أهل العلم: المراد منبره

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٦) ومسلم (٥٠٢/١٣٩١).
(٢) فتح الباري (٤/١٠٠).

بعينه الذي كان في الدنيا.

ومعنى ذلك: أنّ قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه الحوض، ويقتضي شربه منه.

وقيل: إن له هناك منبرًا على حوضه[1]، والله أعلم.

ثالثًا: بركة مسجد قباء والصّلاة فيه:

عن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ - مَسْجِدَ قُبَاءَ - فَصَلَّى فِيهِ كَانَ لَهُ عَدْلُ عُمْرَةٍ**»[2].

رابعًا: بركة المسجد الأقصى:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: بكثرة الأشجار والأنهار، والخصب الدائم.

ومن بركته: تفضيله على غيره من المساجد، سوى المسجد الحرام ومسجد المدينة، وأنه يُطلب شد الرحال إليه للعبادة والصلاة فيه، وأن الله اختصه محلاً لكثير من أنبيائه وأصفيائه[3].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦٢/٩) بتصرف.
(٢) **صحيح**: السنن الكبرى للنسائي (٧٨٠) وأحمد (١٥٩٨١) وغيرهما.
(٣) تفسير السعدي (٤٥٣).

المبحث الخامس : المبارك من الأزمنة

أولاً: شهر رمضان:

*** من بركته: أنّ صيامه سبب في مغفرة الذنوب:**

فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

وفي مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(٢).

وما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(٣).

وفي رواية للنسائي وأحمد زيادة: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ**»(٤).

*** ومن بركة رمضان: مضاعفة الأجر:**

لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال في الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٥).

---

(١) البخاري (٢٠١٤) ومسلم (١٧٥/٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٦/٢٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (١٨٩٨) ومسلم (١/١٠٧٩).

(٤) **صحيح**: سنن النسائي (٢١٠٦) ومسند أحمد (٧١٤٨)، قال الألباني: وهو حديث جيد لشواهده- المشكاة (١/٦١٢).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١٦٣-١١٥١).

قال النووي رحمه الله: قوله تعالى: «**وأنا أجزي به**» بيان لعظم فضله، وكثرة ثوابه، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء، اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء[1].

*** ومن بركته: أنّ العُمرة فيه تعدل حجّة مع النبي ﷺ:**

قال رسول الله ﷺ للمرأة الأنصارية: «**فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً**». وفي رواية: «**فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي**»[2].

إلى غير ذلك من بركات شهر رمضان.

ثانيًا: ليلة القدر:

من بركة هذه الليلة: أن العبادة فيها أفضل من ألف شهر.

قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وقد قال تعالى عنها إنها ليلة مباركة، قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

قال القرطبي رحمه الله: وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب[3]. انتهى.

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[4].

---

(١) مسلم بشرح النووي (٤/٢٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢١/١٢٥٦).
(٣) تفسير القرطبي (١٦/١٢٦).
(٤) البخاري (١٩٠١) ومسلم (١٧٥/١٦١).

ثالثًا: من بركات عشر ذي الحجة:

وهي العشر الأول من شهر ذي الحجة. وقد أقسم الله تعالى بها في قوله ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١، ٢]، على قول أكثر العلماء، وهو اختيار ابن جرير الطبري[١]، وابن كثير[٢] رحمهما الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟**». قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ؟ قَالَ: «**وَلاَ الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**»[٣].

رابعًا: بركة يومي الإثنين والخميس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»[٤].

بالإضافة إلى غير ذلك من الأزمنة المباركة، كصوم يوم عرفة، وبركة شهر ذي الحجة، ففيه العشر، وفيه أيام الحج وغير ذلك، وبركة صيام ست من شوال.

وبركة يوم الجمعة، وأنّ من أدّى الصلاة ملتزمًا بآدابها غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى.

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٦٩/٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٠٦/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٩٦٩) كتاب العيدين.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٥/٣٥).

قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اغْتَسَلَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»[1].

فالأزمنة المباركة كثيرة، ونكتفي بما ذكرنا؛ ففيه كفاية بإذن الله.

(١) أخرجه مسلم (٢٦/٨٥٧) من حديث أبي هريرة – كتاب العيدين.

الفصل الثالث

التبرك المشروع

وبيان كيفيته وما يجوز أن نتبرّك به

ويحوي مدخلًا وخمسة مباحث:

المبحث الأول: التبرك بذكر الله.

المبحث الثاني: كيفية التبرك بالقرآن.

المبحث الثالث: المشروع من التبرك بالنبي ﷺ .

المبحث الرابع: هل يجوز التبرك بالصالحين قياسًا عليه ﷺ ؟

المبحث الخامس: هل التبرك بالصالحين ممنوع مطلقًا؟

الفصل الثالث

التبرك المشروع وبيان كيفيته وما يجوز أن نتبرك به

ومعنى التبرك المشروع: أي الذي شرعه الله تعالى أو رسوله ﷺ، وهو إمّا أن يكون واجبًا، أو مستحبًا، أو مباحًا.

بيان كيفية التبرك، وما يجوز أن نتبرك به:

ما تقدّم من الأمور المباركة لا تحتاج إلى تفصيل في بيان كيفية التبرك، لوضوحه، كالصلاة في المساجد الثلاثة أو غيرها، ومثل صيام شهر رمضان أو غيره، إلى غير ذلك.

أمّا هنا: فسوف نفصل كيفية التبرك، وما يجوز أن نتبرك به، في عدة مباحث:

المبحث الأول : التبرك بذكر الله

قبل أن نشرع في بيان كيفية التبرك بالذكر يجدر بنا أن نبين أنواع الذكر.

قال ابن القيم رحمه الله عند بيان أنواع الذكر ما يأتي:

الذِّكْر نوعان: -

أحدهما: ذكر الله تبارك وتعالى وصفاته.

والثاني: الثناء عليه بها، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى.
وهذا أيضًا نوعان، أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو: (سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) و(سبحان الله وبحمده) و(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، ونحو ذلك.

أفضل هذه الأنواع: أجمعه للثناء وأعمُّه، نحو: (سبحان الله عدد خلقه)، فهذا أفضل من مجرد (سبحان الله)... ثم استشهد على هذا ببعض الأحاديث الشريفة، ثم قال:

النوع الثاني: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم... ونحو ذلك.

ثم قال رحمه الله: وأفضل هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تشبيه، ولا تمثيل، ثم ذكر فروعًا أخرى لهذا النوع، ثم قال:

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهو أيضًا نوعان:-

أحدهما: ذكره بذلك، إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضى كذا.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه.

وقال أيضًا: ومِنْ ذِكْره سبحانه وتعالى: ذِكْر آلائه، وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقع فضله على عبيده، فهذه خمسة أنواع[1].

والحاصل: أنّ ذكر الله يتنوع إلى:-

ذكر أسمائه وصفاته، إنشاء أو خبرًا.

وذكر أمره ونهيه وأحكامه، قولاً أو عملاً.

وذكر إنعامه، وإحسانه على خلقه.

مطلب: كيفية التبرك بالذكر:

سبق بيان أنّ معنى التبرك: هو طلب البركة، والتبرك بالشيء: طلب البركة بواسطة، وسبق أيضًا بيان معنى البركة، وهي: ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير وزيادته، أو اجتماعهما معًا[2].

التبرك بتسمية الله تعالى:

أي: تسمية الله تعالى في ابتداء الأقوال أو الأفعال، بأن يقول الشخص: (بسم الله) فتحصل له البركة الدينية أو الدنيوية لهذا الأشياء، واندفاع المفاسد والشرور عنها بفضل الله تعالى وإعانته.

---

(١) الوابل الصيب (١٨٧-١٩٠) بتصرف واختصار.

(٢) راجع أول الفصل الثاني.

قال ابن كثير رحمه الله في معرض كلامه عن فضل البسملة: عن رديف النبي ﷺ قال: عَثَرَ بالنبي ﷺ حمارُه فقلتُ: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»[1].

قال رحمه الله: فهذا من تأثير بركة "بسم الله"؛ ولهذا تُستحب في أول كل عمل وقول ... ثم ساق جملة من الأحاديث، وقال: فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله، تبركًا وتيمنًا واستعانةً على الإتمام والتقبل، والله أعلم[2].

وعنون الإمام البخاري في صحيحه: (باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع).

قال ابن حجر رحمه الله: قوله (باب التسمية على كل حال وعند الوقاع) أي: الجماع، وعطفه عليه من عطف الخاص على العام للاهتمام به، وليس العموم ظاهرًا من الحديث الذي أورده، لكن يستفاد من باب الأولى، لأنه إذا شرع في حالة الجماع، وهي مما أُمر فيه بالصمت فغيره أولى، وفيه إشارة إلى تضعيف ما ورد من كراهة ذكر الله في حالين: الخلاء والوقاع، لكن على تقدير صحته لا ينافي حديث الباب[3]، لأنه يحتمل على حال إرادة الجماع[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٢) وأبو داود (٤٩٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠-٢١).

(٣) يشير إلى الحديث الذي جاء فيه ما يقال عند الجماع- انظر: صحيح البخاري (١٤١).

(٤) فتح الباري (١/ ٢٤٢).

أمثلة على الأمور التي تشرع التسمية فيها:

التسمية عند الأكل والشرب، لما في الصحيحين من حديث عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ...**»[1].

والتسمية عند دخول المنزل، والخروج منه، وعند النوم، وعند الذبح، وعند الجماع، وغير ذلك[2].

التبرك بالصّلاة على النبي ﷺ:

مما يلحق بذكر الله تعالى أيضًا: الصلاة على نبينا ﷺ، فهي متضمنة لذكر الله تعالى وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله ﷺ[3].

ومن بركة الصلاة على النبي ﷺ ما أورد مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا**»[4]. وهذا من أعظم البركات.

بركات الذكر:

للذكر بركات كثيرة، دنيوية، ودينية.

١- التبرك بالذكر للنفع الدنيوي:

يحصل بذكر الله للعبد من البركات الدنيوية، ما لا يحصل لغيره ممن فتر لسانه عن ذكر الله، ومنها:-

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨).
(٢) الأدلة على هذه الأمور ونحوها موجودة في كتب الأذكار ونحوها.
(٣) جلاء الأفهام لابن القيم (٢٧٠).
(٤) مسلم (٤٠٨/٧٠).

أ- اطمئنان القلب، وزوال الخوف عنه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ب- الذكر يعطي قوة للذاكر، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه. قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين، لما سألته الخادم، وقال: «**فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(١).

ج- من منافع الاستغفار ما جاء في قوله تعالى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢].

د- ومن بركات الذكر: الرقي باسم الله تعالى، وبالأذكار المشروعة؛ للاستشفاء والعلاج.

٢- التبرك بالذكر للنفع الديني:

منه: مغفرة الذنوب، ومضاعفة الحسنات، ونزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة، وأعظم البركات ذكر الله تعالى للذاكر في الملأ الأعلى، وكل ما ذكرت جاءت به آيات وأحاديث صحيحة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٧٠/٤٠٨).

المبحث الثاني : كيفية التبرك بالقرآن

للقرآن منافع دينية ودنيوية، لا تخفى، وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تدل على ذلك، منها:-

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

* فالتبرك بالقرآن: بتلاوته لحصول البركات الدنيوية، من الاستشفاء بآياته بالرقى الشرعية، وطرد الشياطين من البيت، والتحصن من السحر وكلاهما بتلاوة سورة البقرة وغير ذلك، والأدلة على ذلك ذكرت في الكتاب أو السنة.

* والبركة الأخروية تحصل بتلاوته وتدبره، فتنزل السكينة والرحمة والملائكة، قال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٢/٨٠٤) باب: فصل قراءة القرآن- كتاب صلاة المسافرين.
(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٩).
(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٩٩).

* **ومن بركته:** الشفاء من أمراض القلوب، قال تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وغير ذلك من الفضائل والبركات الدنيوية والدينية التي تحصل للعبد بتلاوة القرآن وحفظه وتدبره والعمل به.

وهذا هو معنى التبرك بالقرآن، وليس كما يظن بعض الناس أن التبرك بالقرآن يكون بوضعه مكتوبًا على الحائط أو في سلسلة للنساء، أو وضعه في السيارة ليحفظها، وما أشبه ذلك من الأمور التي زلت فيها أقدام كثير من المسلمين.

المبحث الثالث : المشروع من التبرك بالنبي ﷺ

سبق بيان أنواع بركات النبي ﷺ، وأنها نوعان: معنوية وحسية. وقد أوضحت هناك أن البركات الحسية على نوعين:-

النوع الأول: بركة في أفعاله ﷺ مما أكرمه الله تعالى به من خوارق العادات، التي حصل منها خير كثير، ونفع عظيم محسوس، وذكرنا نماذج منها[1].

والنوع الثاني: بركة في ذاته وآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ، وقد أرجأت بحث هذا النوع إلى هنا؛ لارتباطه بهذا البحث.

فمما لا شك فيه أن نبينا ﷺ مبارك في ذاته وآثاره، كما كان مباركًا في أفعاله ﷺ. وهذا مما أكرم الله تعالى به أنبياءه ورسله جميعًا عليهم الصلاة والسلام.

ولهذا فإنّ صحابة الرسول ﷺ تبرّكوا بذاته ﷺ وبآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ في حياته، وأقرهم ﷺ على ذلك، ولم ينكر عليهم، ثم إنهم رضي الله عنهم تبركوا ومَنْ بعدَهم مِن سلف هذه الأمة الصالح بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته، مما يدل على مشروعية هذا التبرك.

وينبغي أن يُعلم أنه لا يصاحب هذا التبرك – من جهة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح- شيء يعارض أو يناقض توحيد الألوهية أو الربوبية، وأن هذا الفعل ليس من باب الغلو المذموم، وإلا لَنَبَّه على ذلك الرسولُ ﷺ صحابته رضي الله عنهم، كما نهاهم عن بعض

---

(١) راجع الفصل الثاني- المبحث الثاني.

الألفاظ الشركية، وحذرهم من ألفاظ الغُلو[1].

فيُنظر إذن إلى هذا على أنه تكريم وتشريف من الخالق سبحانه وتعالى لصفوة خلقه، في بدنه وما ينفصل عنه من آثاره الحسية، حيث وضع تبارك وتعالى في ذلك كله الخير والبركة، ونذكر في هذا المبحث نماذج في تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته.

أولاً: نماذج من تبرّك الصحابة بالرسول ﷺ في حياته:

سأذكر نماذج مما نقل إلينا نقلاً صحيحًا من الأخبار والآثار عن تبرك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بنبينا محمد ﷺ أثناء حياته، بذاته الكريمة، أو بآثاره الشريفة ﷺ على النحو التالي:

١- تبرّك الصحابة بأعضاء جسده وما انفصل منه ﷺ:

مما يدل على بركة أعضاء جسده الشريف، ما روته عائشة رضي الله عنها: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا**»[2].

ومما ورد عن تبرك الصحابة رضي الله عنهم بيده الشريفة ﷺ ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا**»[3].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ١٢٠)، باب: قول ما شاء الله وشئت.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٦) ومسلم (٢١٩٢/٥١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٤/٧٤).

وعن أبي جحيفة ﷺ أنه قال: «**خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالهَاجِرَةِ[1] إِلَى البَطْحَاءِ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ[2]**». قَالَ شُعْبَةُ: وَزَادَ فِيهِ عَوْنٌ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «**كَانَ يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا المَرْأَةُ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي؛ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ**»[3].

وكان الصحابة يحرصون على مس أي موضع من جسده ﷺ وتقبيله كلما أمكن ذلك؛ للتبرك.

فعن أُسَيدِ بن حُضَيْرٍ - رجل من الأنصار- قال: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ، فَقَالَ: أَصْبِرْنِي؛ فَقَالَ: «**اصْطَبِرْ**» قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا، وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، «**فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ[4]**»، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ[5].

٢- تبرّكهم بشعره ﷺ:

عن أنس ﷺ قال: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ**

---

(١) الهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار- النهاية (٥/٢٤٦).

(٢) العنزة: العكازة، أو العصا كان في أعلاه قرن. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٠/ ١٤٠). وكان يستعملها سترة له ﷺ في الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥٣).

(٤) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف- القاموس المحيط (٤/٥٣).

(٥) **صحيح**: سنن أبي داود (٥٢٢٤).

أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ»[1].

قال النووي رحمه الله في معرض شرح هذه الأحاديث وغيرها: وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة، أو تبريكًا بمس يده، وإدخالها في الماء كما ذكروا... وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرّك بآثاره ﷺ وتبرّكهم بإدخال يده الكريمة في الآنية، وتبرّكهم بشعره الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه... [2].

٣- تبرّكهم بعرق النبي ﷺ:

جاء في صحيح مسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ، قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «**أَصَبْتِ**»[3].

٤- تبرّكهم بثياب النبي ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ[4] -

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥-٢٣٢٥).

(٢) مسلم بشرح النووي (٨/٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٨٤-٢٣٣١).

(٤) كساء كانت العرب تلتحف به فيه خطوط- عمدة القارئ (٨/٦٢).

فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ فَقَالَ القَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا[1] - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا[2].

وثبت في الصحيحين من حديث أم عطية رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ أعطى اللاتي يغسّلن ابنته إزاره، وقال: «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**»[3].

قال النووي رحمه الله: معنى «أشعرنها إياه»: اجعلنه شعارًا لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد، سُمّي شعارًا لأنه يلي شعر الجسد. ثم قال: والحكمة في إشعارها به تبريكها[4].

٥- التبرك بماء وضوئه ﷺ:

عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: «**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالهَاجِرَةِ، فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ**»[5].

---

(١) قال القزاز: حاشيتا الثوب: ناحيتاه اللتان في طرفهما الهدب. الفتح (٣/١٧١) أي أن الثوب جديد.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٧، ٦٠٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٥٣) ومسلم (٣٦/٩٣٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٣).

(٥) رواه البخاري (١٨٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه. ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وَضوئه ﷺ[1]، انتهى.

وهذا هو المقصود بـ(فضل الوضوء).

وعن عروة عن المِسوَرَ وغيره قال عن أصحاب النبي ﷺ: «**وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ**»[2].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أرشد أصحابه أحيانًا إلى شيء من هذا وساعدهم عليه.

ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ[3] فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اشْرَبَا[4] مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا، وَأَبْشِرَا**»، فَأَخَذَا القَدَحَ، فَفَعَلاَ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مَرِيضٌ، فَتَوَضَّأَ فَصَبَّ عَلَيَّ أَوْ قَالَ: «**صُبُّوا عَلَيْهِ**» فَعَقَلْتُ[6]، الحديث.

وهذه نماذج لتبرّك الصحابة بالنبي ﷺ في حياته.

---

(١) الفتح (١/ ٢٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٨٩).
(٣) مج الماء من الفم صبه من فمه قريبًا أو بعيدًا- اللسان (٨/ ٢٠٤).
(٤) هما: أبو موسى الأشعري وبلال رضي الله عنهما، كما جاء في أول الحديث.
(٥) أخرجه البخاري (٤٣٢٨) ومسلم (٢٤٩٧/١٦٤).
(٦) أخرجه البخاري (٥٦٧٦) ومسلم (١٦١٦/٨).

ثانيًا: نماذج من تبرّك الصحابة بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته:

بعد وفاته ﷺ لم يبق من التبرّك به - على الوجه المذكور في المسألة السابقة- سوى التبرك بآثاره ﷺ.

والمراد بآثار الرسول ﷺ: الآثار الحسّية المنفصلة منه ﷺ، كالشعر ونحوه، أو الأشياء التي استعملها ﷺ وبقيت بعده، كالثياب، والنعل، ونحو ذلك.

وقد عقد الإمام البخاري باباً بعنوان: (باب ما ذُكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه، وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعرهِ ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته)[1]. ثم ساق البخاري جملة من أحاديث هذا الباب، نذكر بعضًا منها :-

عن عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ[2]، قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ[3] لَهُمَا قِبَالاَنِ[4]، فَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ البُنَانِيُّ بَعْدُ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلاَ النَّبِيِّ ﷺ[5].

وعن أَبِي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري، قال: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا[6]، وَقَالَتْ: فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري (٤/٦٤) كتاب: فرض الخمس.

(٢) وثقه أبو داود وغيره، مات قبل سنة ١٦٠هـ- انظر الجرح والتعديل (٣/٢٨٠) وميزان الاعتدال (٣/٣١٤) وتهذيب التهذيب (٨/٢١٥).

(٣) أي: لا شعر عليهما- النهاية (١/٢٥٦) بتصرف.

(٤) زمان النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين- النهاية (٤/٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣١٠٧).

(٦) أي: مرقعًا- النهاية لابن الأثير (٤/٢٢٤).

وفي رواية: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِاليَمَنِ، وَكِسَاءً مِنْ هَذِهِ الَّتِي يَدْعُونَهَا: المُلَبَّدَةَ[1].

وعن عَاصِمٍ الأَحْوَلِ[2]، قال: رَأَيْتُ قَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَدْ انْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ، قَالَ أَنَسٌ: «**لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا القَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا**»[3].

وجاء في صحيح مسلم، أنّ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أخرجت جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[4] : فَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا[5].

هل يوجد شيء من آثار الرسول ﷺ في العصر الحاضر؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال أحب أن أنبه على أن حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ باق على مشروعيته، لا يقتصر على الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين فقط، فإن بركة آثار الرسول ﷺ فيها، وليس هناك ما يرفعها.

وللإجابة عن السؤال الآنف الذكر لا بُد من بيان الأمور الآتية:-

أولاً: جاء في صحيح البخاري عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٠٨).

(٢) حافظ مكثر- انظر: تذكرة الحفاظ (١/١٤٩) وتهذيب التهذيب (٥/٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٣٨).

(٤) طيالسة: جمع طيلسان، فارسي معرب، أصلة تالسان والطيلسان: الأسود- القاموس المحيط (٣/٨٧) واللسان (٦/١٢٤، ١٢٥).

(٥) جزء من حديث عبد الله مولى أسماء، أخرجه مسلم (١٠/٢٠٦٩).

«مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ أَمَةً، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاَحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»(١).

ولا شك أنّ هذا يدلّ على قلة ما خلّفه الرسول ﷺ بعد موته من أدواته الخاصة(٢).

ثانيًا: وردت أخبار عديدة بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين إلى يومنا هذا تدل على حصول هذا التبرك بآثار المصطفى ﷺ من قبل بعض الخلفاء والعلماء والصالحين (٣)، وإن كان بعض هذه الأخبار ليس صحيحًا، وهذا إما بسبب ضعف في روايته، أو عدم صحة نسبة الأثر ذاته إلى الرسول ﷺ، وهذا هو الأكثر.

قال صاحب كتاب الآثار النبوية بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي ﷺ وغيره بالقسطنطينية، قال: لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنّا لم نر أحدًا من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك(٤).

ثالثًا: ثبوت فقدان الكثير من آثار الرسول ﷺ على مدى الأيام والقرون، بسبب الضياع، أو الحروب والفتن، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦١).

(٢) لمعرفة تركة الرسول ﷺ على وجه التفصيل، وما آلت إليه يمكن الرجوع إلى كتاب: تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها لابن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٧هـ.

(٣) لمعرفة هذه الأخبار يمكن مراجعة على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٢١٢، ٢٥٠، ٣٣٧).

(٤) انظر: الآثار النبوية لتيمور باشا- توفى سنة ١٣٤٨هـ، ص (٧٩).

ومن أمثلة فقد الكثير من آثار الرسول ﷺ ما يأتي:

١- جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، وَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمَانَ، حَتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ**[١]، **نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»[٢].

٢- فقدان البردة والقضيب[٣] في آخر الدولة العباسية، حتى أحرقهما التتار عند غزوهم لبغداد سنة ٦٥٦هـ[٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله: كان له (أي: النبي ﷺ) قضيب، وهو اليوم عند الخلفاء[٥].

قال ابن كثير رحمه الله: وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفًا عن سلف، وكان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه- صلوات الله وسلامه عليه- في إحدى يديه، فيخرج وعليه السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، ويبهر به الأبصار[٦].

٣- ذهاب نعلين يُنسبان إلى النبي ﷺ في فتنة تيمور لنك[٧] بدمشق

---

(١) اسم بئر معروفة من أعذاب آبار المدينة – تقع في قُباء.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٧٣) ومسلم (٢٠٩١/٥٤).

(٣) القضيب هنا: العود المقطوع الشجرة- اللسان (٦٧٨/١).

(٤) انظر: كتاب الآثار النبوية لتيمور باشا (ص١٩، ٢٠).

(٥) الوفا بأحوال المصطفى (٦٧٠/٢) لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ. وانظر – إن شئت- شرحًا لوقعة التتار: كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي (٤٦٧-٤٧٦) وغيره.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٨/٦).

(٧) هو مؤسس مملكة المغول الثانية (ترغاي). ومعنى تيمور: الحديد، واللنك: الأعرج، =

سنة ٨٠٣هـ[١].

ومن الأسباب أيضًا لفقدان الآثار النبوية: وصية بعض من عنده شيء منها أن يكفن فيه إن كان لباسًا، كما تقدّم قريبًا في حديث سهل بن سعد ﷺ، أو يوصي بأن يدفن معه بعد موته، إن كان ذلك الأثر شعرات مثلا[٢].

رابعًا: يلحظ كثرة ادّعاء وجود وامتلاك شعرات منسوبة إلى الرسول ﷺ في كثير من البلدان الإسلامية[٣] في العصور المتأخرة، حتى قيل إنّ في القسطنطينية وحدها ثلاثًا وأربعين شعرة سنة ١٣٢٧هـ، ثم أُهدي منها خمس وعشرون وبقي ثمان عشرة[٤].

وهناك عناية بحفظ تلك الشعرات المنسوبة إلى الرسول ﷺ من قبل من يدّعي ذلك، حيث تحفظ في صناديق أو قوارير وتلف بقطع من الحرير ونحوه، على أن في بعض الأماكن يحتفل بإخراجها- على طريقة خاصة- مرة واحدة أو أكثر كل عام، في بعض المواسم[٥]، كليلة ٢٧ من رمضان،

=

سمي بذلك لإصابته بسهم بالحرب في صباه. وقد حكم ولاية ما وراء النهر، وكان عهده كله حروب وفضائح، وقد زحف بعساكره إلى دمشق سنة ٨٠٣هـ بأهوال من المصائب، من قتل سكانها وسبى نسائها وأولادها، وإحراق مصانعها وبيوتها ما لا يوصف. انظر: خطط الشام لمحمد كرد علي (٢/١٥٥-١٧٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٣٣٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٣٣٧).

(٣) من الأمثلة على ذلك: القاهرة، دمشق، بيت المقدس، عكا وغيرها.

(٤) الآثار النبوية (ص ٩٣، ٩٤).

(٥) لا شك أن التبرك على هذه الطريقة- إن صح ثبوت الشعرات- مخالف لهدي السلف الصالح.

أو ليلة النصف من شعبان مثلا[1].

قال الألباني رحمه الله: ونحن نعلم أنّ آثاره ﷺ - من ثياب، أو شعر، أو فضلات - قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين[2].

لا سيما مع مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به، وأطاعوه، فببركة ذلك حصل لهم من سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله[3].

---

(١) الآثار النبوية (٩١).

(٢) التوسل وأحكامه للألباني (١٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/١١٣).

المبحث الرابع

هل يجوز التبرك بالصالحين قياسًا عليه ﷺ؟

تقدّم بيان مشروعية التبرك بذات الرسول ﷺ في حياته، وبآثاره في حياته وبعد وفاته- عليه الصلاة والسلام- مع ذكر أدلة ذلك.

وإذا كان الرسول ﷺ يجوز التبرك به على هذا الوجه، فهل يجوز هذا التبرك أيضًا بغيره من الصالحين، قياسًا عليه ﷺ؟ هذا ما سأتناوله في هذا المبحث بإذن الله تعالى.

وأبدأ هذا المبحث بسؤال...

هل فعل الصحابة ذلك التبرّك مع غيره ﷺ ؟

إذا كان أصل دليل المسألة هو فعل الصحابة رضي الله عنهم معه ﷺ، وإقراره ﷺ إياهم على ذلك، بل أمرهم ﷺ بذلك أحيانًا كما سلف بيانه، فهل وجد هذا التبرك عند الصحابة رضي الله عنهم مع غيره ﷺ؟ وهل أمرهم الرسول ﷺ بذلك وأرشدهم إليه؟

الحق: أنه لم يُؤثَر عن النبي ﷺ أنه أمر بالتبرّك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم أو غيرهم، سواء بذواتهم أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك، وكذا لم يُنقل حصول هذا النوع من التبرك، من قبل الصحابة رضي الله عنهم بغيره ﷺ لا في حياته ﷺ ولا بعد مماته ﷺ.

وأيضًا: لم يفعله الصحابة مع السابقين منهم إلى الإسلام وفضلائهم مثلا، ومنهم الخلفاء الراشدون- وهم أفضل الصحابة- وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن أشار إلى ثبوت تبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ وبآثاره، مناقشًا مسألة إمكان التبرك أيضا بالصالحين وبآثارهم، وهو من المحققين القلائل الذين تطرقوا لهذه المسألة، قال رحمه الله: الصحابة رضي الله عنهم بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذْ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو كان خليفته، ولم يُفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه ، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم عليّ ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبرِّكًا تبرك به على أحد تلك الوجوه[1].

بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسِّير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ ، فهو إجماع منهم على ترك تلك الأشياء[2].

مسألة: ما سبب ترك الصحابة رضي الله عنهم هذا التبرك مع بعضهم؟

إذا لم يثبت حصول ذلك النوع من التبرك من جهة الصحابة رضي الله عنهم مع بعضهم- وهم أفضل القرون- مع وجود مقتضيات هذا التبرك- طلب الخير والشفاء والبركة- وتوافر أسبابه، حيث الصحابة السابقين، والعشرة المبشرين رضي الله عنهم جميعًا.

كما أن الوفود التي كانت تبعث خارج المدينة لبعض المهمات- ومنهم كبار الصحابة- لم يحصل التبرك بهم من قبل من بعثوا إليهم، مع بُعد الرسول ﷺ عنهم في حياته.

---

(١) يقصد التبرك بالشعر والثياب وفضل الوضوء، ونحو ذلك.

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٨، ٩).

إذا كان الأمر كذلك، فما سبب إجماعهم على ترك هذا التبرك إذن؟ ولماذا لم يفعلوه مع بعضهم كما كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ؟

إنّ السبب الرئيسي في ترك الصحابة رضي الله عنهم ذلك التبرّك مع بعضهم- والله أعلم- هو اعتقاد اختصاص الرسول ﷺ به دون سواه- ما عدا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقد خصّ الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين بخصائص شريفة، لا توجد في غيرهم، ومنها وجود البركة في ذواتهم وآثارهم تشريفًا وتكريمًا..

ولا شك أنّ النبي ﷺ هو أفضل الأنبياء والمرسلين وأعظمهم بركة.

قال الشاطبي رحمه الله بعدما أثبت إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك فيما بينهم- مع فعلهم له مع النبي ﷺ، قال رحمه الله مبينًا أحد وجهي هذا التبرك: أن يعتقدوا فيه الاختصاص، وأن مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير، لأنه ﷺ كان نورًا كله.... فمن التمس منه نورًا وجده على أي جهة الْتّمسه، بخلاف غيره من الأمة -وإن حصل له من نور الاقتداء به، والاهتداء بهديه ما شاء الله[1]- لا يبلغ مبلغه، على حال توازيه في مرتبته، ولا تقاربه فصار هذا النوع مختصًا به، كاختصاصه بنكاح ما زاد على الأربع.. وشبه ذلك.

ثم قال رحمه الله مبينًا حكم ذلك التبرك بغيره ﷺ بناء على هذا الوجه: فعلى هذا المأخذ لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في

(١) يشير إلى البركة المعنوية للمؤمنين الصالحين الحاصلة بسبب اتباعهم للرسول ﷺ.

الزيادة على أربع نسوة بدعة[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر ما يُرجّح هذا الوجه: وهو إطباقهم- أي الصحابة- على الترك؛ إذ لو كان اعتقادهم التشريع[2] لعمل به بعضهم بعده، أو عملوا به ولو في بعض الأحوال، إما وقوفًا مع أصل المشروعية، وإما على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع[3].

قال ابنُ رجب رحمه الله في معرض سياقه النهي عن المبالغة في تعظيم الأولياء الصالحين، وتنزيلهم منزلة الأنبياء: وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم... ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم فدل على أن هذا لا يُفعل إلا مع النبي ﷺ، مثل التبرك بوَضوئه وفضلاته، وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه[4].

بيان الحق في حكم قياس الصالحين على النبي ﷺ:

أولاً: مما سبق يتبين أنّ ما رآه بعض العلماء[5] من قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرّك بذواتهم وآثارهم غير صحيح لأسباب:-

١- إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير

---

(١) الاعتصام (٩/٢).

(٢) أي اعتقادهم أن هذا التبرك مشروع.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: **(بعثت بين يدي الساعة)**، لابن رجب (٥٥).

(٥) من هؤلاء العلماء: النووي رحمه الله، وابن حجر رحمه الله. انظر: شرح مسلم للنووي (٣/٧) (٤٤٨٤)، فتح الباري (١٢٩/٣، ١٣٠، ١٤٤) و(٣٤١/٥).

النبي مع وجود مقتضياته يدل على أن هذا من خصائصه ﷺ.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعليقًا على قول بعض شراح الحديث، الذين قالوا: لا بأس بالتبرك بالصالحين، إذا مروا بحديث فيه ذكر شَعر النبي ﷺ ونحوه، قال رحمه الله: وهذا غلط ظاهر، لا يوافقهم عليه أهل العلم والحق، وذلك أنه ما ورد إلا في حق النبي ﷺ، فأبو بكر، وعمر، وذو النورين عثمان، وعليّ وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وبقية البدريِّين، وأهل بيعة الرضوان، ما فعل السلف هذا مع واحد منهم، أفيكون هذا منهم نقصًا في تعظيم الخلفاء التعظيم اللائق بهم، أو أنهم لا يلتمسون ما ينفعهم؟ فاقتصارهم على النبي ﷺ يدل على أنه من خصائص النبي ﷺ[1].

٢- ومما يؤكد اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك أنّ التابعين- رحمهم الله تعالى- قد ساروا على نهج الصحابة رضي الله عنهم- كما سبق- وما فعله التابعون مع فضلائهم وقادتهم في العلم والدّين[2] وهكذا من بعدهم من أئمة الدّين.

٣- ومما يؤكّد الاختصاص أيضًا: أنه لم يرد دليل شرعي على أنّ غير النبي ﷺ مثله في التبرك بأجزاء ذاته وآثاره؛ فهو خاصّ به كغيره من خصائصه[3].

---

(١) من مجموع فتاوى ورسائل ابن إبراهيم (١/١٠٣-١٠٤). وانظر: فتح المجيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٠٦).

(٢) انظر: فتح المجيد (١٠٦)، والدين الخالص، لمحمد صديق خان (٢/٢٥٠).

(٣) هذه مفاهمينا، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٠٩) بتصرف.

٤- أجمع العلماء على أنه إذا ثبتت الخصوصية في حق النبي ﷺ فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه، إذ لو كان حكمه حكم غيره لما كان للاختصاص معنى[١].

ثانيًا: لا يجوز قياس الصالحين وغيرهم على النبي ﷺ في جواز هذا التبرك سدًّا للذريعة.

قال الشاطبي رحمه الله في بيان هذه العلة: لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حدٍّ، بل تتجاوز فيه الحد، وتبالغ بجهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرَّك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرَّك به ما ليس فيه، وهذا التبرّك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ، بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية ـ حسبما ذكره أهل السير، فخاف عمر رضي الله عنه أن يتمادى الحال في الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تُعبد من دون الله، فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم.

مسألة: هل يصح أن يُحتج بإمكان حصول تلك المفاسد من الغلو وأنواع الشرك مع التبرك بالنبي ﷺ ؟

لا يصح ذلك، لمجيء النصوص الشرعية بجواز ذلك الأمر به في حقه ﷺ خاصة[٢].

مع العلم بوجوب عدم مصاحبة هذا التبرك مع الرسول ﷺ شيء

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، للدكتور محمد سليمان الأشقر (ص٢٧٧) بتصرف.

(٢) من كتاب الكواشف الجلية على معاني الواسطية لعبد العزيز بن محمد السلمان (٧٤٦).

من الغلو أو الشرك.

وممن نصّ على منع قياس الصالحين على الرسول ﷺ - فيما سبق- من العلماء المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حيث قال تعليقًا على رأي ابن حجر العسقلاني رحمه الله من جواز التبرك بآثار الصالحين، قياسًا على ما ورد في بعض الأحاديث من تبرك الصحابة بالرسول ﷺ، قال رحمه الله: التبرك بآثار الصالحين غير جائز، وإنما يجوز ذلك بالنبي ﷺ خاصة، لما جعل الله في جسده وما مسَّه من البركة، وأما غيره فلا يقاس عليه لوجهين:

أحدهما: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك مع غير النبي ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

الوجه الثاني: سد ذريعة الشرك، لأنّ جواز التبرك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم، وعبادتهم من دون الله، فوجب المنع من ذلك[1].

وهكذا تبين لنا عدم جواز قياس الصالحين على النبي ﷺ؛ وعليه فلا يجوز التبرك بذوات الصالحين أو بآثارهم، فضلاً عن غيرهم، وأن تعظيم الشيء والتبرك به لا يجوز إلا بدليل شرعي.

---

(١) انظر: تعليق الشيخ علي فتح الباري (٣/ ١٣٠) هـ (١)، (١٤٤) هـ (١١).

المبحث الخامس : هل التبرّك بالصالحين ممنوع مطلقًا؟

تقدّم لنا - في المبحث الماضي - أنّ التبرّك بذوات الصالحين أو بآثارهم ليس مشروعًا.

وإذا كان هذا النوع من التبرك بالصالحين ليس مشروعًا، فليس معنى ذلك أنه لا يشرع التبرك بالصالحين مطلقًا، بل يشرع التبرك بالصالحين بعدة أوجه منها:-

الوجه الأول: الانتفاع بعلمهم:

من أجلِّ صفات العلماء الصالحين: تعليم غيرهم، لذا فإنّ من جالسهم واجتمع بهم سيتحصل على العلم النافع بتوفيق الله تعالى...

وكان الصحابة يحرصون على سؤال النبي ﷺ عما يجهلون، ودَرَجَ على هذا مَن بعدهم من السلف الصالح في سؤال أئمتهم وعلمائهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيمانًا عامًا مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية[1].

قال ابن التركماني رحمه الله: ولولا العُلماء لصار الناس كالبهائم، فببركة العلم خرجوا من حد البهيمية إلى حد الإنسانية[2].

تنبيه:

للحصول على بركة العلم الدينية والدنيوية، لا بد من الالتزام بآداب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣١٢).

(٢) اللمع في الحوادث والبدع (٥).

طلبه، وهي آداب معروفة، أعلاها إخلاص النية لله عز وجل في طلب العلم.

الوجه الثاني: الاستماع إلي وعظهم ونصائحهم:

لا تقتصر بركة الصالحين على التعريف بالدين وتعليم أحكامه لغيرهم كما سلف، وإنما يُنتفع أيضًا بوعظهم ونُصحهم لغيرهم.

قال ابن القيم رحمه الله: من بركة الرجل أن يكون معلمًا للخير، داعيًا إلى الله، مُذكرًا به، مُرغبًا في طاعته، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه، والاجتماع به[1].

الوجه الثالث: الانتفاع بدعائهم:

من منافع وبركات الصالحين على أنفسهم، وعلى غيرهم: دعاء الله تبارك وتعالى وسؤاله من خيري الدنيا والآخرة...

ويمكن الحصول على بركة هذا الدعاء في مجالسة هؤلاء الصالحين؛ فقلّما تخلو مجالسهم من دعاء الله عز وجل بالخير والصلاح والتوفيق، والمغفرة والرحمة لمن حضر تلك المجالس.

كما يمكن الحصول على بركة دعاء الصالحين أيضًا عن طريق طلب الدعاء من أحدهم[2]، خاصة عند وقوع المسلم في ضيق شديد، أو مرض، أو مصيبة، فيطلب منه أن يدعو ربه ليفرج عنه كربه، أو يشفيه من مرضه، وهذا يعتبر من أنواع التوسل المشروع[3].

---

(١) رسالة إلى كل مسلم لابن القيم (٥، ٦) بتصرف.

(٢) انظر شواهد ذلك عند الصحابة في: حياة الصحابة الكاندهلوي (٤/٩٣-٩٥).

(٣) من كتاب التوسل للألباني (٣٨).

الوجه الرابع: التحصل على فضل مجالس الذكر لمن جالس الصالحين الذاكرين لله تعالى وإن لم يشاركهم:

هذا وجه آخر يُجنى من ثمرات مجالسة الصالحين، وهو البركات الأخروية العظيمة، وهي كثيرة جدًا، نذكر منها:-

ما ثبت في الصحيحن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا[1] يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ؛ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»[2].

قال ابن حجر رحمه الله: في الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله

(١) فضلا: أي زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق. النهاية (٣/ ٤٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

تعالى به عليهم إكرامًا لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر[1].

قال الشوكاني رحمه الله: جعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، وإنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم[2].

ولذا جاء الحث على صحبة الأخيار ومجالسة الصالحين في الكتاب والسنة، والترغيب في ذلك.

فمن القرآن الكريم: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء[3].

ومن السنة: ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[4].

---

(١) فتح الباري (١١/٢١٣).

(٢) تحفة الذاكرين (٤٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨).

الفصل الرابع
التبرك الممنوع

ويحوي أربعة مباحث:

المبحث الأول: التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته.

المبحث الثاني: هل يجوز التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ؟

المبحث الثالث: حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: حكم التبرك ببعض الجبال والمواضع.

الفصل الرابع : التبرك الممنوع

من المعلوم أن النبي ﷺ قد حثّ أمته على التمسك بسننه وسنة خلفائه الراشدين؛ ففي ذلك الهدى والفلاح، وحذّر أمته من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة، ففي ذلك الشر والضّلالة.

وقد سبق بيان أهمية السنة، والتمسّك بها، وخطر البدعة وسوء منقلب أهلها، وذكرت ذلك بالأدلة الشرعية[1].

(١) راجع – إن شئت- كتابي "المحجة البيضاء".

المبحث الأوّل : التبرّك بالنبي ﷺ بعد وفاته

مما تقدّم، في مباحث التبرّك بالرسول ﷺ يظهر لنا أنّ الذي بقي من التبرك به بعد وفاته أمران فقط، هما:-

١ـ الإيمان به وطاعته واتباعه:

ومن المعلوم أن هذا واجب على المكلفين، وأن من أدَّاه سيحصل على الخير العظيم، والأجر الجزيل، وعلى سعادة الدارين، وهذا ما يسمى بالبركات المعنوية للرسول ﷺ ، وأنعم بذلك من فضل وخير.

٢ـ التبرك بآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ:

على ضوء ما تقدّم، وعلى هذا فما عدا ذلك من صيغ التبرك بالرسول ﷺ بعد وفاته غير مشروع، بل هو ممنوع، كما سيتضح من خلال مباحث هذا الفصل بإذن الله تعالى.

هذا، وإن مما تتحتم معرفته هنا أنه مع وجوب اعتقاد عظم شأن الرسول ﷺ وعلو منزلته، وعموم بركته – حيا وميتًا- ومع عظيم محبة الناس له ﷺ ، إلا أن هذا يجب ألا يؤدي إلى رفعه فوق منزلته، أو الغلو في محبته، كما يظهر مثلا في ممارسات التبرك غير المشروع بالرسول ﷺ.

كما ينبغي أن يعلم أيضًا أن منع التبرك بالرسول ﷺ في بعض الأحوال لا يعني انتقاص حقه أو التقليل من شأنه ﷺ.

مسألة: حكم شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ:

ابتداءً لا بد أن نعلم أن حكم زيارة قبره ﷺ مشروعة، وهي داخلة في عموم شرعية زيارة القبور.

وأيضًا ينبغي أن نعلم أنّ زيارته ليست واجبة باتفاق المسلمين.

أمّا صفة الزيارة المشروعة: فقد بيناها، ولله الحمد[1].

أما بالنسبة لمسألة شد الرحل لقصد زيارة القبر فقط -دون المسجد- فهي مسألة وقع فيها خلاف بين العلماء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله موضحًا ذلك: ... إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي ﷺ دون الصلاة في المسجد، فهذه المسألة فيها خلاف. فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء، أن هذا غير مشروع، ولا مأمور به، لقوله ﷺ: «**لا تُشد الرحال إلا[2] إلى ثلاثة مساجد ...**».

ولهذا لم يذكر العلماء أن مثل هذا السفر إذا نذره يجب الوفاء به، بخلاف السفر إلى المساجد الثلاثة.

وقال: ورخّص بعض المتأخرين في السفر لزيارة القبور[3].

وقد استدل هؤلاء على جواز أو استحباب السفر إلى مجرد قصد زيارة القبر الشريف بأحاديث، بلغت أربعة عشر حديثًا تقريبًا، لكنها موضوعة أو ضعيفة جدًا[4] لا تقوم بها الحجّة.

---

(١) راجع- إن شئت - كتابي "الدرر البهية" (١٦٤) وما بعدها.

(٢) المستثنى منه عام، في المساجد وغيرها من المواضع مما يقصد به القربة- راجع توضيح ذلك في فتح المجيد (٢٠٥) والدين الخالص لصديق خان (٣/ ٥٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٦، ٢٧).

(٤) ممن جمع هذه الأحاديث مستدلا بها تقي الدين السبكي في كتابه: شفاء السقام في زيارة خير الأنام (١-٤٠) وقد رد عليه الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه: الصارم المنكي في الرد على السبكي (٢٩-٢٤٦).

قال ابن تيمية رحمه الله: الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية- الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة- كره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ، ولو كان هذا اللفظ مشروعًا عندهم، أو معروفًا أو مأثورًا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة والإمام أحمد – أعلم الناس في زمانه بالسنة- لما سُئل عن ذلك- أي زيارة قبر النبي ﷺ - لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث، إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(١)، وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه(٢)... وذكر رحمه الله جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذة المسألة(٣).

ومن وجه آخر: فإنه لو كان شيء من هذه الأحاديث ثابتًا لكان الصحابة رضي الله عنهم أسبق الناس إلى العمل به، وبيان ذلك للأمة ودعوتهم إليه، لأنهم خير الناس بعد الأنبياء، وأعلمهم بحدود الله وبما شرعه لعباده، فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دل على أنه غير مشروع(٤).

كما أنّ القول بشرعية شد الرحال لزيارة قبره ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيدًا- وهو ما نهى عنه ﷺ - ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من

---

(١) صحيح: سنن أبي داود (٢٠٤١) وأحمد (١٠٨١٥).
(٢) كتاب الرد على الأخنائي لابن تيمية (١٨٩) بتصرف.
(٣) انظر: الرد على البكري (٥٥) لابن تيمية.
(٤) التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة لابن باز (٧٠).

الغلو والإطراء، كما قد وقع الكثير من الناس في ذلك، بسبب اعتقادهم شرعية شد الرحال لزيارة قبره ﷺ[1].

مظاهر التبرك الممنوع بقبره ﷺ:

من أبرز مظاهر ذلك التبرك الممنوع بقبره ﷺ ما يلي:-

١- طلب الدعاء أو الشّفاعة من الرسول ﷺ عند قبره:

إن هذا العمل من أنواع التوسل غير المشروع بالرسول ﷺ، فإنّ التوسل مشروع ونافع في حياته ﷺ فقط، وبشفاعته يوم القيامة.

أما طلب ذلك بعد وفاته، عند قبره، أو غير قبره ﷺ، كأن يقول شخص: يا رسول الله استغفر لي، ادع الله أن يغفر لي، أو يهديني أو ينصرني... فهذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، وليست واجبة، ولا مستحبة باتفاقهم، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين، قاله ابن تيمية[2].

أما سؤال الرسول ﷺ بعد وفاته حاجة، أو الاستغاثة به لكشف كربة، ونحو ذلك، فهذا أبعد مراتب البدع، وهو من أنواع الشرك بالله تعالى[3]، لأنه من باب الاستعانة أو الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى.

---

(١) التحقيق والإيضاح (٦٩).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٤-٢١) بتصرف واختصار.

(٣) المصدر السابق (١٩) والرد على البكري (٥٥) بتصرف.

٢- أداء بعض العبادات عند القبر النبوي:

وهذا من التبرك الممنوع، ومن أشهر هذه العبادات: الدعاء، والصلاة عند القبر، معتقدًا أن الدعاء عند قبره ﷺ مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، وأن الصلاة عند القبر أرجى للقبول، فيقصد زيارته لذلك[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقًا على هذا الفعل ونحوه: فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين، وهي محرّمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين[٢].

وقال أيضًا رحمه الله مبينًا حكم الدعاء عند القبر النبوي: ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه، فإن هذا بدعة، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عند القبر يدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة، ويدعون في المسجد[٣].

وقال رحمه الله معللا عدم مشروعية أداء العبادات عند القبر النبوي: لو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفُتح للمسلمين باب الحجرة، فلما مُنعوا من الوصول إلى القبر، وأُمروا بالعبادة في المسجد، عُلم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده... ولم يأمر قط بأن يُقصد بعمل صالح أنْ يُفعل عند قبره ﷺ[٤].

٣- التمسح بالقبر أو تقبيله، ونحو ذلك:

---

(١) الرد على البكري (٥٦) بتصرف، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ١٩٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مجموعة الرسائل البكرى (٢/ ٤٠٨) وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨١).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٣٦-٢٣٧).

إنّ التمسح بحائط قبر الرسول ﷺ باليد أو غيرها- على أي وجه كان – أو تقبيله رجاء الخير والبركة، مظهر من مظاهر البدع..

وقد نصّ على كراهة ذلك الفعل، وعلى النهي عنه جماعة من العلماء[1].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنه عادة النصارى واليهود[2].

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله اتفاق العلماء على أنّ من زار قبر النبي ﷺ، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم- أنه لا يتمسح به ولا يقبّله[3].

وقال رحمه الله مبيِّنًا حكم تقبيل الجمادات: ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: **«إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»**[4][5].

قال النووي رحمه الله في كلامه على قبر النبي ﷺ: يكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثير

---

(١) انظر الكتب الآتية: الشفا للقاضي عياض (٢/٨٥)، إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٥٩)، الحوادث والبدع للطرطوشي (١٤٨)، المغنى لابن قدامة (٣/٥٥٩)، الإيضاح للنووي (١٦١)، وغيرهم.

(٢) إحياء علوم الدين (١/٢٧١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (٢٤٨/١٢٧٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/٧٩).

من العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدَثات العوام وجهالاتهم.

ولقد أحسن السيد الجليل أبو على الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ما معناه: اتبع طرق الهدي، ولا يضرك قلة الساكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين. ومن خطر ببالـه أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع، وأقوال العلماء، وكيف يُبتغَي الفضل في مخالفة الصواب؟[1]. انتهى.

فكل ذلك ونحوه، من البدع المذمومة، ومن التبرك غير المشروع بغيره ﷺ.

أدلة عدم شرعية التبرك بقبره ﷺ:

يمكن بيان الأدلة على عدم جواز التبرك- إضافة إلى ما تقدّم ضمن الفقرة الماضية- من عدة أوجه:-

أحدها: ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل على مشروعية هذا التبرك بقبره ﷺ على أي وجه من الوجوه المبتدعة، على ضوء ما تقدم.

الثاني: ثبت أنّ الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ قبره عيدًا، وعن اتخاذ القبور مساجد، وأنه من سنن اليهود والنصارى، في أحاديث كثيرة، منها ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبُورًا، وَلا تَجعَلوا قَبْري عِيدًا، وَصَلُّوا عَلى، فَإنَّ صَلَاتَكُم تَبْلغني حَيثُ**

(١) الإيضاح في المناسك للنووي (ص١٦١).

كُنتُم»[1].[2]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: معنى قوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون منزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومَن تشبّه بهم[3].

وأمّا معنى قوله ﷺ: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**» فإنه يفسره ما روي عن أفضل التابعين، من أهل بيت الرسول ﷺ علي بن الحسين[4] رحمه الله، حيث نهى رجلاً كان يتحرّى الدعاء عند قبر الرسول ﷺ، مستدلاً بهذا الحديث الذي رواه هو من طريقه، عن جده عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فبين أنّ قصدَه للدعاء ونحوه اتخاذٌ له عيدًا[5].

ثم إنه ﷺ أعقب النهي عن اتخاذ قبره عيدًا بقوله: «**صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، يشير بذلك ﷺ إلى أنّ ما ينالني منكم من الصّلاة والسّلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم منه؛ فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا[6].

الوجه الثالث: أنّ السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم لم يفعلوا ذلك بقبره ﷺ.

---

(١) **صحيح**: سنن أبي داود (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٠).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٥٧).
(٣) نفس المصدر (٢/١٧٢).
(٤) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين المتوفى سنة ٩٤هـ.
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٧٥).
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٥٧) بتصرف.

فلم يثبت عن القرون الثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم، أو التابعين أو أتباعهم، و من بعدهم من أئمة المسلمين أنهم تبرّكوا بقبر الرسول ﷺ، أو أنهم أمروا بذلك، بل كانوا ينهون عنه.

فهم لم يقصدوا القبر النبوي للدعاء عنده مثلا مع شدة حاجتهم، واضطرارهم[1].

الوجه الرابع: ليس المقصود بزيارة القبور التبرك بالميت، وسؤاله والاستشفاع به، والدعاء عنده، والتمسح بقبره - ونحو ذلك مما تقدّم- وأن بركة الميت المزور تعود على الحي الزائر، حتى لو كان المزور هو الرسول المصطفى ﷺ[2].

شُبه المخالفين والردّ عليها:

أورَد المجيزون للتبرّك بقبر الرسول ﷺ شبهًا شرعية وعقلية، يحتجّون بها على جواز أو استحباب بعض مظاهر وأشكال ذلك التبرّك، وسأذكر فيما يأتي أشهر هذه الشبه والرد عليها باختصار.

الشبهة الأولى: إذا صح طلب الشفاعة والدعاء من الرسول ﷺ في حياته، فلا بأس بطلب ذلك منه أيضًا بعد وفاته، بناء على أنه ﷺ حي في قبره، والحياة قد ثبتت للشهداء، ورُتبة الأنبياء أعلى وأكمل من جميع الشهداء[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨٤، ٦٨٥) والتوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان بن عبد الله آل الشيخ (٢٤٦).

(٢) الرد على الأخنائي (٧٩).

(٣) ممن احتج بهذه الشبهة ونحوها من المتقدمين: تقي الدين السبكي، المتوفى سنة =

الرد عليها: يمكن الرد على هذه الشبهة من طريقين:-

الأوّل: يرد على من يجيز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ إجمالاً كما يأتي:-

ليس في النصوص الشرعية دليل على جواز طلب الدعاء والشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره، كما تقدّم.

والنبي ﷺ الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيامة، لم يخبر بأنه في قبره سيشفع لأحد، بل عمومات النصوص تنهي عن طلب الشفاعة من الأموات[1].

ولهذا لم يطلب أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من سائر المسلمين- لم يطلبوا من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئًا، ولا ذكر ذلك لأحد من أئمة المسلمين في كتبهم[2].

وإذا كان طلب الدعاء من الأموات جائزًا؛ فلأي علة لم يطلب صحابة رسول الله ﷺ منه أن يدعو لهم بعد موته، وعدلوا إلى العباس بن عبد المطلب ﷺ ، وهم أعْلم الأمة وأحرصها على الخير.

الثاني: أمّا الاستدلال على جواز تلك الشفاعة بحياة الرسول ﷺ في

= ٧٥٦هـ، في كتابه "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" (١٧١-٢٠١)، ومن المعاصرين محمد علوي المالكي وكتابه "مفاهيم يجب أن تصحح" (ص: ٨١).

(١) انظر كتاب "هذه مفاهيمنا" لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٤٢-١٤٧)، وأنبه إلى أن هذا الكتاب رد على كتاب "مفاهيم يجب أن تصحح" للمالكي.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل لابن تيمية (١٩).

قبره ... فإنه يمكن أن يجاب على هذه الدعوَى بما يأتي:

لا ريب أنّ رسولَ الله ﷺ حيّ في قبره، فإذا كان الشّهداء أحياء في قبورهم، فالأنبياء عليهم الصّلاة والسلام أحقّ وأولى منهم، ولكن الشّأن في معرفة حقيقة هذه الحياة، والفرق بينها وبين الحياة الدنيوية[1].

فالحياة البرزخية غيب من الغيوب، لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولذا فلا تقاس الحياة البرزخية على الحياة الدنيا، كما لا تقاس الحياة الأخروية عليها. وليس معنى حياة الأنبياء والشهداء أنهم كما كانوا في الحياة الدنيا يأكلون ويشربون ويتزوّجون، ويفعلون كل ما يفعله الأحياء[2].

ومما يدلّ على الاختلاف بينها أيضًا أنّ النبي ﷺ في حياته البرزخية لا يعلم شيئًا، أو كل شيء عما في هذه الحياة.

برهان ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**... ألا إِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] **قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»[3].

---

(١) التوسل للألباني (٦٠، ٦١).

(٢) التوسل للألباني (٦٠، ٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٥٨/ ٢٨٦٠).

وكذا شهداء أُحد لم يذهب إليهم أحد من المسلمين أو الصحابة في حياته ﷺ، ولا بعد مماته يسألونهم الدعاء، مع أنهم أحياء حياة برزخية بنص القرآن ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وبناء عليه: فإنّ الاحتجاج على جواز طلب الشفاعة أو الدعاء من الرسول ﷺ بعد وفاته -بأنه حي في قبره- باطل.

وكذا يبطل كل فعل مُشابه يعمل عند القبر النبوي -كطلب الاستغفار مثلا- اعتمادًا على هذه الحجة، والله المستعان.

الشبهة الثانية: الاستدلال على استحباب طلب الاستغفار من الرسول ﷺ عنده قبره بعموم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ولأنّ الرسول ﷺ حي في قبره، ويستشهدون على ذلك بحكاية أعرابي أتى قبر الرسول ﷺ، وتلا هذه الآية، وأنشد بيتين، ثم استغفر عند القبر، فرأى أحدهم في نومه الرسول ﷺ أنه أمره أن يبشر الأعرابي بالمغفرة.

الرد عليها: يجاب على هذه الشبهة من عدة وجوه:-

أحدها: أن المقصود بهذه الآية المجيء إلى الرسول ﷺ في حياته فقط. فإنّ هذه الآية نزلت في شأن المنافقين الذين إذا دعوا إلى الله وحكم رسول الله ﷺ صدوا، واحتكموا إلى الطاغوت، فظلموا أنفسهم، ولم

يجيئوا إلى رسول الله ﷺ تائبين منيبين ليستغفر لهم[1].

وروى الطبري رحمه الله عن مجاهد رحمه الله أن هذه الآية نزلت في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف[2].

الوجه الثاني: أنّ الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالقرآن الكريم، ولم ينقل عن أحد منهم أنه أتى إلى قبر الرسول ﷺ يطلب الاستغفار منه، وكذا التابعون لهم بإحسان، فلو كان مشروعًا مندوبًا لكانوا أعلم به، وأعمل به من غيرهم. قاله ابن تيمية رحمه الله[3].

الوجه الثالث: جاء في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ وجّه بعض أصحابه إلى طلب الاستغفار من التابعي أُويس بن عامر في حياته[4].

وأين منزلته من منزلة رسول الله ﷺ؟ ومع هذا أرشدهم عليه الصلاة والسلام إلى أن يستغفر لهم، تاركين طلب ذلك من خير الخلق في قبره عليه الصلاة والسلام[5].

الوجه الرابع: لو كان يُشرع لكل مُذنب أن يأتي إلى قبره ﷺ ليستغفر له، لكان القبر النبوي أعظم أعياد المذنبين، وهذا مخالف لنهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا[6].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/١٥٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٨٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٨).

(٤) رواه مسلم (٢٢٥/٢٥٤٢).

(٥) أشار إلى هذا الوجه صاحب كتاب "هذه مفاهيمنا" (١٥٢-١٥٣) لآل صالح.

(٦) انظر: الصارم المنكي لابن عبد الهادي (٤٢٨) بتصرف.

الشبهة الثالثة: يشرع الاستسقاء بالكشف عن قبر الرسول ﷺ؛ لما روى الدارمي رحمه الله عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: «**قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوًى[1] إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، قَالَ: فَفَعَلُوا، فَمُطِرْنَا مَطَرًا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ: عَامَ الْفَتْقِ**»[2]

الرد عليها: لقد أجاب على هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال رحمه الله: وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوّة من قبره إلى السماء لينزل المطر، فليس بصحيح، ولا يثبت إسناده، وإنما نَقل ذلك من هو معروفٌ بالكذب، ومما يبين كذب هذا أنه في مدّة حياة عائشة لم يكن للبيت كَوّة، بل كان بعضه باقيًا كما كان على عهد النبي ﷺ، بعضه مسقوف، وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا، لَمْ يَظْهَرِ الْفَيْءُ[3] فِي حُجْرَتِهَا**»[4][5].

وقال أيضًا رحمه الله: ولما بنيت حجرته على عهد التابعين تركوا في أعلاها

---

(١) الكوّة والكوّ: الخرق في الحائط، أو التذكير للكبير والتأنيث للصغير- القاموس المحيط (١٠٤/٤).

(٢) سنن الدارمي، بتحقيق هاشم الغمري، حديث رقم (١٠٠)، وانظر ما ذكره الألباني حول ضعف الرواية - التوسل (١٢٨).

(٣) أصل الفيء: الرجوع، ومعناه هنا الظل الذي يكون بعد الزوال- النهاية (٤٨٢/٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٥) ومسلم (٦١١).

(٥) الرد على البكري (ص٦٧، ٦٨).

كوّة إلى السماء[1].

وذُكر أنّ سبب ذلك لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك، لأجل كنس أو تنظيف[2]، وأنّ آخر الأمر هو بناء القبة[3] على السقف[4].

الشبهة الرابعة: ثبت في صحيح البخاري أنّ عمر بن الخطاب ﷺ لما حضرته الوفاة طلب أن يُدفن بجوار قبر النبي ﷺ، فهذا لأجل التبرك بقبره ﷺ.

الردّ عليها: يجاب على هذه الشبهة، بأن التصرّف من عمر ﷺ لا يدلّ على التبرك بالقبر النبوي الشريف مُطلقًا، إنما كان قصده ﷺ أن يكون قريبًا من صاحبيه ورفيقيه - النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ - بعد الوفاة، كما كانا كذلك في الحياة.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٧٨، ٦٧٩).

(٢) الرد على البكري (ص٦٨).

(٣) حدث هذا سنة (٦٧٨) هـ.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٧٩). وانظر: التوسل، لمحمد نسيب الرفاعي (ص٢٦٧-٢٧٢).

المبحث الثاني : هل يجوز التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ؟

سبق بيان المشروع من التبرّك بالنبي ﷺ، وأنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا –في حياته وبعد وفاته– يتبركون بآثاره الشريفة الحسّية المنفصلة منه ﷺ، كشعره أو عَرقه أو ثيابه أو ماء شُربه أو وضوئه، وأنّ التابعين أيضًا كانوا يتبرّكون بما وجد من آثاره ﷺ بعد وفاته، وهذا لأنّه ﷺ مُبارك الذات والآثار.

ولكن هل بركة ذاته الكريمة، وآثاره ﷺ الشريفة تتعدّى إلى الآثار المكانية أيضًا– كمواضع جلوسه، أو صلاته، أو نومه، ونحو ذلك– ومن ثمَّ يجوز التبرك بها؟ أو أنها لا تتعدى فلا يجوز التبرك إذن؟

قبل أن أدخُل في تفصيل حُكم وأدلّة هذه المسألة، لا بُد من معرفة الفرق بين هذين الأمرين:–

أحدهما: ما قصده الرسول ﷺ من العبادات– كالصّلاة ونحوها– في أي بقعة أو مكان، فإنه يُشرع قصده وتحري مكانه، اقتداء به ﷺ وطلبًا للأجر والثواب، وهذا لا خلاف فيه.

الثاني: ما فعله الرسول ﷺ من العبادات وغيرها، في أي مكان، دون قصد المكان بذاته، أو أداء العبادة فيه، فهذا مما لا يُشرع قصده أو تحرّيه، وهو محلّ البحث هنا.

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن هذه المسألة: وعلى هذا فإنّ ما فعله الرسول ﷺ على وجه التعبّد فهو عبادة يُشرع التأسي به فيه، فإذا تخصّص زمان أو مكان بعبادة، كان تخصيصه بتلك العبادة سُنة[1].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٢٦٠).

وقال أيضًا رحمه الله: فقصدُ الصّلاة أو الدّعاء في الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصّلاة أو الدّعاء عندها سُنة، اقتداء برسول الله ﷺ واتباعًا له، كما إذا تحرّى الصّلاة أو الدّعاء في وقتٍ من الأوقات، فإنّ قصد الصّلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سُنة كسائر عبادته، وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرّب[1].

قال رحمه الله: ومن أمثلة هذا، قصدُ الرسول ﷺ الصّلاة خلف مَقام إبراهيم عليه السلام، وكما كان يتحرّى الصّلاة عند الأسطوانة[2] في مسجده ﷺ، وكما يقصد المساجد للصّلاة، ويقصد الصّفّ الأوّل، ونحو ذلك[3].

أمّا ما لم يكن كذلك: فلا يُشرع قصده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله مُوضحًا حكم هذه المسألة: لم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانًا يقصد للصلاة إلا المسجد، ولا مكانًا يقصد للعبادة إلا المشاعر فمشاعر الحج، كعرفة ومزدلفة، ومنى تقصد بالذّكر والدّعاء والتكبير لا الصّلاة، بخلاف المساجد، فإنها هي التي تقصد للصّلاة، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر وفيها الصّلاة والنّسك... وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصّلاة، ولا الدّعاء، ولا الذّكر، إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك، وإن كان مَسكنًا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٦-٧٤٧) بتصرف.

(٢) الأسطوانة: هي السارية، وأما موقعها في المسجد النبوي فقيل: إنها المتوسطة في الروضة الشريفة، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين- انظر: فتح الباري (١/٥٧٧).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٢).

لنبي، أو منزلًا، أو ممرًّا.

فإنّ الدّين أصله مُتابعة النبي ﷺ وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا، وسنّه لنا، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها، بخلاف ما كان من خصائصه. فأمّا الفعل الذي لم يُشرعه هو لنا، ولا أمرنا به، ولا فَعَله فعلاً سنّ لنا أن نتأسّي به فيه، فهذا ليس من العبادات والقُرَب، فاتخاذ هذا قُربة مخالفة له ﷺ[1].

وبناء على ما تقدّم: فإنّ المواضع التي صلى فيها ﷺ بالمدينة- ما عدا مسجده ﷺ ومسجد قباء- أو على طرقها، أو بمكة- ما عدا المسجد الحرام- ونحو ذلك مما لم يقصده بذاته، كبعض المساجد بمكّة أو المدينة وما حولهما، المبنية على آثار صلاته ﷺ في حضره أو سفره أو غزواته- إن صحّ ذلك- لا تُشرع الصّلاة فيها على سبيل القصد والتبرّك، وستأتي أدلّة ذلك.

وكذلك: فإنّ المواضع والبقاع، والجبال التي جلس أو قام فيها الرسول ﷺ- ما عدا المشاعر- لا تُقصد العبادة فيها التماسًا للبركة.

وكذا: فإنّ الآبار التي شرب منها الرسول ﷺ – ما عدا بئر زمزم- أو اغتسل منها، لا تُقصد تبركًا واستشفاءً.

ذكر الأدلة على عدم شرعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها ﷺ:

يمكن الاستدلال على عدم شرعية التبرك بهذه المواضع- على الوجه المتقدّم- من عدّة أوجُه: -

أحدها: لا يوجد دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/٢٦٣-٢٦٤).

ولا شك أنّ الجلوس في تلك المواضع للصّلاة أو الدّعاء، أو الذّكر، ونحو ذلك، قُربة وتبرّكًا من أنواع العبادة، والعبادات مبناها على الاتباع، لا على الابتداع.

الثاني: أنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يُنقل عن أحد منهم أنه تبرّك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله ﷺ، أو البقع التي صلى عليها ﷺ اتفاقًا، مع أنهم أحرص الأمة على التبرّك بالرسول ومع علمهم بتلك المواضع، وشدّة محبتهم للرسول ﷺ وتعظيمهم له، واتباعهم لسُنته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وسائر السابقين من المهاجرين والأنصار، يذهبون من المدينة إلى مكة حُجاجًا وعُمارًا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرّى الصلاة في مُصليات النبي ﷺ، ومعلوم أنّ هذا لو كان عندهم مُستحبًا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسُنته، وأتبع لها من غيرهم[1].

وقال أيضًا رحمه الله: المكان الذي كان النبي ﷺ يُصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا، لم يكن أحَد من السّلف يستلمه ولا يُقبّله، ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها.

الوجه الثالث: نهى السّلف الصالح عن هذا التبرك قولًا وفعلًا. وكان على رأس هؤلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الخليفة الرّاشد[2].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٠٠).

فعن المعرور بن سويد[1] رحمه الله: خرجنا مع عُمر بن الخطاب، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد، فابتدره الناس يُصلّون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال عُمر: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ باتِّبَاعِهِمْ مِثْلَ هَذَا، حَتَّى أَحْدَثُوهَا بِيَعًا[2]؛ فَمَنْ عَرَضَتْ لَهُ فِيهِ صَلَاةٌ فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِضْ لَهُ فِيهِ صَلَاةٌ فَلْيَمْضِ»**[3].

قال ابن تيمية رحمه الله مُعلقًا على هذه القصّة: لما كان النبي لم يقصد تخصيصه بالصّلاة فيه، بل صلى فيه لأنّه موضع نزوله، رأى عمر أنّ مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعه، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي ﷺ في الصورة، ومتشبه باليهود والنصارى في القصد، الذي هو عمل القلب، وهذا هو الأصل، فإنّ المتابعة في السّنة أبلَغ من المتابعة في صورة العمل[4]. اهـ.

ووَرَد في قصة أخرى، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أنّ ناسًا يأتون

---

(١) تابعي، من الثقات المعمرين، عاش مائة وعشرين سنة، وكان كثير الحديث. انظر تذكرة الحفاظ (١/٦٧)، وتهذيب التهذيب (١٠/٢٣٠).

(٢) البيع: جمع بيعة وهي متعبد النصارى- القاموس المحيط (١/٣٥٠).

(٣) البدع لابن وضاح (٤١، ٤٢). وقال ابن تيمية: ثبت بالإسناد الصحيح. مجموع الفتاوى (١/٢٨١). وصححه الألباني – تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص (٤٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٨١).

الشّجرة التي بُويع تحتها النبي ﷺ؛ فأمر بها فقُطعت[1].

هذا قول عمر بن الخطاب وفعله، الذي قال عنه النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[2].

وقد قال ابن وضاح القرطبي رحمه الله بعد أنْ رَوى هاتين القصتين: وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة[3] يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ، ما عدا قباء وأحدًا[4].

وقال أيضًا رحمه الله: وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس، فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار، ولا الصّلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يُقتدى به. وقدم وكيع[5] أيضًا مسجد بيت المقدس، فلم يَعْد فِعل سفيان.

ثم قال رحمه الله: فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعضُ مَن مضى: كم من أمر هو اليوم معروفٌ عند كثير من الناس كان منكرًا

---

(١) البدع والنهي عنها (٤٢-٤٣) قال الألباني: ورجال إسناده ثقات- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي (٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢)، وأبي داود (٢٩٦١)، وغيرهما، من حديث ابن عمر.

(٣) نبّه على منع هذا التبرك وبيان عدم مشروعيته علماء آخرون أيضًا- انظر: زاد المعاد لابن القيم (١/٥٩) والاقتضاء لابن تيمية (٢/٧٤٥) والاعتصام للشاطبي (١/٣٤٧).

(٤) المقصود إتيان قبور شهداء أُحد لزيارتهم والسلام عليهم، وفي كتاب الاعتصام للشاطبي (١/٣٤٧) هكذا: (ما عداء قباء وحده) نقلاً عن ابن وضاح.

(٥) وكيع بن الجراح أبو سفيان، الكوفي الحافظ، أحد الأئمة الأعلام. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. توفي سنة ١٩٧هـ. انظر: السير (٩/١٤٠)، شذرات الذهب (١/٣٤٩).

عند مَن مضى[1].

الوجه الرابع: أنّ منع هذا التبرك من باب سدّ الذّريعة، ويُمكن إيضاح ذلك من عدّة وجوه:-

١- أنّ النهي عن هذا الفعل سد لذريعة الشرك والفتنة[2]؛ فهو وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع، كما سبق بيان ذلك، وكيف قطع عمر الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ[3].

فربما أفضى ذلك إلى جعلها مَعابد[4].

٢- أنّ ذلك الفعل يشبه الصّلاة عند المقابر[5]، إذ هو ذريعة إلى اتخاذ تلك الآثار مساجد، والنصوص الشرعية تحرم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد -كما سبق بيان هذا- مع أنهم مدفونون فيها، وهم أحياء في قبورهم[6]، فما بالك بالمواضع الأخرى لهم؟

٣- أنّ هذا الفعل ذريعة إلى التشبه بأهل الكتاب في أفعالهم، كما حذر عمر رضي الله عنه.

٤- أن بركة ذوات الأنبياء لا تتعدّى إلى الأمكنة الأرضية، والله

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (٤٣).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/٣٦٨).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) انظر البدع والنهي عنها ص (٤٢)، والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز بن ناصر الرشيد (٣٤٠)، وهذه مفاهيمنا لصالح آل الشيخ (٢١٢).

(٥) الاقتضاء (٢/٧٤٥).

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/٢٦٢) بتصرف.

تعالى أعلم، وإلا لزم أن تكون كُلّ أرض وطئها النبي، أو جلس عليها، أو طريق مرّ بها تُطلب بركتها، ويُتبرّك بها، وهذا لازمٌ باطل قطعًا، فانتفى الملزوم إذن[1].

قال صديق حسن رحمه الله[2]: قالوا: المشي في أرض مشى فيها رسول الله ﷺ يُكفّر السيئات، خصوصًا مع النية الصالحة... وفيها بُشرى له برجاء أن يكون متبعًا آثاره الشريفة.

قلت: وذلك يحتاج إلى سَند، لأنّ المكفِّر إنما هو اتباع هديه وسنته ظاهرًا وباطنًا، دون تتبع آثاره الأرضية فقط، فتدبّر[3].

وبهذه الأوجُه وغيرها يُستدَلّ على عدم مشروعية التبرّك المذكور.

شُبه المخالفين والردّ عليها:

هناك من العلماء من أجاز التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ[4]، اعتمادًا على عدة شُبه مختلفة تعلّقوا بها للاستدلال على مشروعية بعض أشكال هذا التبرّك.

---

(١) هذه مفاهيمنا (٢١١). وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٥/٦٣).

(٢) هو: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي الهندي أبو الطيب الإمام المحدث المفسر، ناصر السنة وقامع البدعة، وصاحب التصانيف في عدة فنون منها فتح البيان في مقاصد القرآن، توفي سنة ١٣٠٧هـ - انظر: الأعلام (٦/١٦٧)، معجم المؤلفين (١٠/٩٠).

(٣) رحلة الصديق إلى البيت العتيق لصديق خان (٢١).

(٤) ممن حبذ قصد تلك المواضع التماسًا للبركة: الغزالي، انظر: إحياء علوم الدين (١/٢٦٠) والزركشي في إعلام الساجد بأحكام المساجد (٢٩٨)، والقسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/٤٠١)، والعيني في عمدة القاري (٤/٢٧٥).

وسأذكر أبرز هذه الشبه، مع الردّ عليها:-

الشّبهة الأولى:

حديث عِتبان بن مالك رضي الله عنه، ففي الصّحيحين: أَنَّ عِتْبَانَ بنَ مَالِكٍ ﷺ أَتَى رَسولَ الله ﷺ ، فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**». قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟**». قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ[1].

قالوا: فيستدلّ بهذا الحديث على مشروعية التبرك بالمواضع التي صلى فيها ﷺ[2].

الردّ على هذه الشبهة:

قد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث، بأنّ عِتبان ﷺ كان مقصوده بناء مسجد لحاجته إليه، فأحبّ أن يكون موضعًا يُصلي له فيه النبي ﷺ ليكون النبي ﷺ هو الذي رسم المسجد- كما أنه ﷺ بنى مسجد قُباء، وبنى مسجده- وهذا بخلاف مكان صلى فيه النبي ﷺ اتفاقًا، فاتخذ مسجدًا، لا حاجة إلى المسجد في هذا المكان، لكن لأجل صلاته فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٢٦٣/ ٣٣).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٦١/٥)، والفتح (٥٢٢/١).

فقط[1].

قال ابنُ حجر رحمه الله: يحتمل أن يكون عتبان رضي الله عنه إنما طلب بذلك الوقف على جهة القبلة بالقطع[2].

الشبهة الثانية:

فعل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ففي صحيح البخاري أنّ عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما كَانَ يتَحَرّى قَصْدَ أَمَاكِنَ مِن طُرق المدينة، فيُصَلّي فيها، وَأنّه رَأى النّبي ﷺ يُصَلّي فيها[3].

الردّ على هذه الشبهة:

يجاب عن هذه الشبهة بما يأتي:-

١- أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يقصد التبرك بالصلاة في المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ، إنما كان قصده شدة الاقتداء والاتباع للنبي ﷺ والتشبه به، فهو حريصٌ على بركة الاقتداء، لا على بركة المكان.

والدليلُ على ذلك: أنّ تشدّده في الاتباع معروفٌ ومشهور[4].

ومن شواهد هذا: ما رُوي أنّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا

---

(١) الاقتضاء (٢/٧٤٦) والرد على البكري (٢٨٠) بتصرف.

(٢) فتح الباري (١/٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٤٨٣).

(٤) انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٢٣٧) وسير أعلام النبلاء (٣/٢١٣)، وفتح الباري (١/٥٦٩).

تيبس[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: ينبغي أن يُعلم هنا أنّ ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن يقصد أن يصلي إلا في مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، ولم يكن يقصد الصلاة في موضع نزوله ومقامه[2].

٢- أنّ هذا الفعل مما انفرد به ابن عمر رضي الله عنهما - لتشدّده في الاتباع كما تقدّم- عن جمهور الصحابة، فقد خالفه سائر الصحابة، ومنهم أبوه رضي الله عنه، كما سبق بيان ذلك.

الشبهة الثالثة:

فِعلُ سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، ففي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد قال: كَانَ سَلَمَةُ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ الْاسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ الْمُصْحَفِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِم، أَرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ هَذِهِ الْاسْطُوَانَةِ، قَالَ: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَهَا**»[3].

فقد يُفهم من فعل سلمة رضي الله عنه عُموم مشروعية الصّلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ تبرّكًا.

الردّ على هذه الشبهة:

يجاب عنها بأنّ هناك فرقًا بين ما يتحرّى الرسول ﷺ الصّلاة ونحوها فيه، ويقصده كما في الحديث، وبين ما يصلي فيه ﷺ اتفاقًا بدون قصد.

فالأول يُشرع قصده وتحريه اقتداء واتباعًا، ولا خلاف في ذلك.

---

(١) أسد الغابة (٣/٢٣٧) والسير (٣/٢١٣) والاقتضاء (٢/٧٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢)، ومسلم (٥٠٩/ ٢٦٤).

وأمّا الثاني: فلا يُشرع قصده- وهو محلّ البحث والمناقشة- وقد تقدّم إيضاح هذا أوّل هذا البحث.

قال شيخ الإسلام ﷺ بعد أنْ ساق الحديث: وقد ظنّ بعض المصنّفين[1] أنّ هذا مما اختلف فيه، وجعله والقسم الأوّل – أي ما فعله الرسول ﷺ من العبادات في أي موضع دون قصد- سواء، وليس بجيد، فإنه هنا أخبر أنّ النبي ﷺ كان يتحرّى البقعة، فكيف لا يكون هذا القصد مستحبًا؟...

فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ والاستنان به فيما فعله، وبين ابتداع بدعة لم يسنها لأجل تعلّقها به[2].

الشّبهة الرابعة:

اتخاذُ مقام إبراهيم عليه السلام مُصلى. أي: أنّ الله تعالى أمرنا بقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ فيُقاس عليه غيره من الأماكن المرتبطة بالأنبياء.

الردّ عليها:

قال شيخُ الإسلام وغيره: هذا الحكم خاصّ بمقام إبراهيم عليه السلام فقط، سواء أريد به المقام الذي عند الكعبة، أو أريد به المشاعر (عرفة، ومزدلفة، ومنى)، ولا خلاف أنها قد خصّت من العبادات بما لا يشركها فيه سائر البقاع، كما خصّ البيت بالطواف، وما خصّت به تلك البقاع لا يُقاس به غيرها[3] .

---

(١) من هؤلاء أبو بكر الطرطوشي- انظر: كتاب البدع والحوادث (ص١٥١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٢).

(٣) الاقتضاء (٢/٨٠١).

وقال في موضع آخر رحمه الله: فالعبادات مَبناها على الشرع والتوقيف والاتباع، لا على الرأي والقياس والابتداع، وما عظّمه الله ورسوله من زمان أو مكان فإنه يستحقّ التعظيم، وما لا فلا[1].

تلك أبرز الشّبه التي يعتمد عليها مَن يجيز هذا النوع من التبرّك، بعد مُناقشتها، والردّ عليها.

مسألة : حكم التبرك بأثر قدم الرسول ﷺ:

هذه مسألة هامّة تتفرّع عن موضوع هذا المبحث، أرى أنه لا بُد من بيانها؛ ذلك أنه يوجَد في بعض البلدان ما يُسمّى: (أثر موطئ قدم الرسول ﷺ)، وهو عبارة عن حجارة عليها أثر قدَم، يزعم بعض النّاس أنها قدَم الرسول ﷺ؛ فيتبرّكون بها مَسحًا وتقبيلاً ومُشاهدة، وغير ذلك، كالدّعاء عندها، ونحوه، وقد يُنشئون الزيارة لأجل ذلك.

والكلام على بُطلان ذلك من وجهين:-

الوجه الأوّل: أنّ ما يُدّعى وجوده من آثار قدمه الشريفة ﷺ غير صحيح، لعدّة أسباب، منها ما يأتي:-

١- عدم وجود ما يثبت صحة شيء من ذلك، فليس هناك أدلّة مُعتبرة يُعتمد عليها، وإنما الأمر مجرّد إشاعات فقط في البداية، اكتسبت الشّهرة بعد ذلك خصوصًا عند العوام.

٢- نصّ المحقّقون من العُلماء والحفّاظ على إنكار صحّة آثار القدَم

---

(١) مجموع الفتاوى (٨٦/٢٧) والرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي لمؤلفه حمود بن عبد الله التويجري (٨٣) بتصرف.

النبوية على الأحجار [1].

٣- أنّ ما استفاض واشتهر خصوصًا على ألسنة الشعراء والمدّاح من تأثير قدمه ﷺ في الصّخر إذا وطئ عليه، لا أصل له؛ فهو كَذبٌ مختلق[2].

الوجه الثاني: لو صحّ وجود شيء من آثار قدم الرسول ﷺ افتراضًا، فإنه لا يجوز التبرك به على أي وجه من الوجوه، لما يأتي:-

١- ما تقدّم تقريره والاستدلال عليه في هذا المبحث من عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها ﷺ، وأثر القدم جزء من هذه المواضع، ولذا لم يتبرّك به السلف الصالح رحمهم الله.

وقد نصّ على ذلك شيخ الإسلام بقوله: الموضع الذي كان ﷺ يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه، لم يُشرع لأمته التمسّح به، ولا تقبيله[3].

وقال في موضع آخر رحمه الله: قصدُ الصلاة والدعاء عند ما يقال: إنه قدم نبي، أو أثر نبي أو قبر نبي ... من البدع المحدثة، والمنكرة في الإسلام، لم يشرع ذلك الرسول ﷺ، ولا كان السّابقون الأولون والتابعون لهم بإحسان يفعلونه، ولا استحبّه أحَد من أئمة المسلمين، بل هو من أسباب الشّرك، وذرائع الإفك[4].

---

(١) أورد أحمد تيمور باشا صاحب الآثار النبوية جملة من أسماء هؤلاء العلماء (ص٦٧، ٦٨). وانظر: الاقتضاء (٢/ ٨٠٠)، ومجموع الفتاوى (١٣/٢٧).

(٢) انظر: فتح المتعال في مدح النعال للمقرئ (٣٤٩-٣٥١)، والآثار النبوية لأحمد تيمور باشا (ص٤٩-٧٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٠٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٧٢/ ١٤٥).

٢- اتفق العُلماء على ما مضت به السّنة من أنه لا يُشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم عليه السلام[١]- الموجود به موضع قدميه- إذا كان هذا غير مشروع في موضع قدمي إبراهيم عليه السّلام - الذي لا شك فيه- مع أنّا قد أُمرنا أن نتخذه مصلى، فكيف بما يُقال إنه موضع قدَم الرسُول ﷺ كذبًا وافتراء؟!

هذا ما يتعلّق بحكم التبرك بأثر قَدَم الرسُول ﷺ.

وهكذا الحكم في كُل ما قد يُنسَب إلى المصطفى ﷺ من آثار أخرى مُشابهة، كأثر الكَفّ، أو المرفق أو الرّأس، وغير ذلك [٢]. فإنه لا يوجد لها مُستند شرعي صحيح يثبت صحّة نسبتها إلى الرسول ﷺ، ثم إنه لا يُشرع التبرّك بها على أي وجْه من الوجوه لو صحّ شيء منها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢١٢) وأخبار مكة للأزرقي (٢/٢٩-٣٠).

(٢) انظر: الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا (ص ٥٩ وما بعدها).

المبحث الثالث : حُكم التبرّك بمكان ولادة الرسول ﷺ

قد ذكر بعض المتأخّرين من المؤرّخين أنّ بمكة موضعًا مشهورًا[1] يقال إنه مكان مولد النبي ﷺ، وأنه كان يزار بعد صلاة المغرب من الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول[2] في كُلّ سَنة، من قبل بعض الفقهاء والأعيان، على طريقة خاصّة، فيدخُلون فيها ويخطبون ويدعُون لولاة الأمر، ثم يعودون إلى المسجد الحرام قبيل العشاء[3].

وذكر بعضهم أنّ هذا الموضع كان يفتح يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ليتبرّك به النّاس- بالصّلاة والدّعاء والتمسّح ونحو ذلك- فهو أوّل تُربة مسّت جسمه الطاهر ﷺ، حتى ادّعى بعض العُلماء أنّ الدعاء يُستجاب في مولد النبي ﷺ عند الزّوال[4].

فهل التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ مشروع أم ممنوع؟

والجواب: أنّ حُكم هذه المسألة لا يختلف عن أمثالها من المسائل السابقة، وهو عدم الجواز؛ وذلك من وجهين:-

الوجه الأول: اختلاف العلماء والمؤرخين في تعيين مكان ولادته

---

(١) يقع هذا الموضع في شعب بني هاشم (شعب علي) قرب سوق الليل بناء على أشهر الأقوال في محل ولادة النبي ﷺ. انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي (٢٦٩/١)، إعلام العلماء لعبد الكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ (١٥٤). وقد بنى أخيرًا في هذا الموضع مكتبة مكة المكرمة. انظر كتاب: مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع (١٢٥).

(٢) على اعتبار أنه زمان المولد النبوي، وبين أهل العلم نزاع في ثبوت ذلك التاريخ.

(٣) انظر: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها لابن ظهيرة- المتوفى سنة ٩٨١هـ- ص (٣٢٦) وإعلام العلماء الأعلام للقطبي (ص١٥٤).

(٤) رحلة ابن جبير (٩٢) بتصرف. وانظر: إعلام العلماء للقطبي (١٥٤).

ﷺ[1]، وعدم وجود أدلة صحيحة تحدد هذا الموضع يقينًا. وأمّا المكان المشهور- المشار إليه آنفًا- فمحلّ شكّ لدى كثير من العُلماء.

ولا شك أنّ اختلاف العلماء والمؤرّخين في تحديد موضع الولادة هو أظهر دليل على عدم اهتمام الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم به؛ لأنه لا يتعلّق به عمل شرعي، وإلّا لنقل اتفاقهم على مكان مُعيّن معروف، كما تُعرف أماكن مشاعر الحج مثلًا.

فهذا إذن من دلائل عدم مشروعية التبرّك بمكان الولادة، فالصّحابة أحرَص من غيرهم على فعل الخير والمسارعة إليه.

الوجه الثاني: لو صحّت معرفة مكان ولادة النبي ﷺ لما جاز التبرك به على أي وجه، لما تقدّم تقريره والاحتجاج له في هذا المبحث، عن عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ، ونحو ذلك من الآثار المكانية، ومكان الولادة جزء منها.

أمّا الاستدلال على شرعية تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي والتبرّك به، بما روي أنّ جبريل عليه السّلام أمره ﷺ لَيلة الإسراء والمعراج بصَلاة رَكعتين ببيت لحم[2] حيث ولد عيسى عليه السلام، فيُجاب عنه بما يأتي:-

١- أنّ علماء الحديث وغيرهم حَكموا على هذه الرّواية بأنها مُنكَرة موضوعة، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنّه صلى في بيت لحم[3].

---

(١) انظر مثلا: شفاء الغرام للفاسي المكي (٢٦٩/١)، والجامع اللطيف لابن ظهيرة (٣٢٥- ٣٢٧)، وأخبار مكة للأزرقي (٢٢٠).

(٢) بيت لحم: قرية بفلسطين قرب بيت المقدس من جهة الجنوب ولد فيها عيسى عليه السلام- انظر: معجم البلدان (٥٢١/١).

(٣) انظر: معجم البلدان (١٣٨-١٤٥)، فقد أفاض مؤلفه في نقل كلام أهل العلم =

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: ثبت في الصّحيح أنّ النّبي ﷺ لمّا أَتَى بَيْتَ المَقْدِس لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ صَلّى فِيه رَكْعَتَين[1]، ولم يُصلّ بمكان غيره ولا زاره، وحديثُ المعراج فيه ما هو في الصّحيح، وفيه ما هو في السّنن والمسانيد، وفيه ما هو ضعيف، وفيه ما هُو من الموضُوعات المختلَقَات، مثل ما يرويه بعضهم فيه: «**أنّ النبي ﷺ قال له جبريل: هذا قبر أبيك إبراهيم، انزل فصلّ فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى، انزل فصلّ فيه...**»، فهذا ونحوه من الكَذب المختلق باتفاق أهل المعرفة... وبيتُ لحم كنيسة من كنائس النّصارى، ليس في إتيانها فَضيلة عند المسلمين، سواء كان مَولد عيسى أو لم يكن[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: قد قيل: إنه- أي: النبي ﷺ- نزل ببيت لحم، وصلى فيه، ولم يصحّ ذلك عنه البتة[3].

٢- لو ثبت أنه ﷺ صلى ليلة الإسراء في بيت لحم، لم يكن في ذلك ما يؤيد جواز الصلاة في مكان ولادة النبي ﷺ تبركًا واحتسابًا للأجر، لعدم صحة القياس في أمور العبادة فهي توقيفية.

فضلاً عن أنّه ﷺ لم يأمُر أمّته بتعظيم بيت لحم، ولا بالصّلاة فيه، ولم يكن أحَد من الصّحابة يُعظّم بيت لحم ويُصلي فيه[4]؛ فليس في إتيانه فضيلة عند المسلمين كما تقدّم، وكذا مكان ولادته ﷺ. والله أعلم.

= وحكمهم على هذه الرواية وأسانيدها.

(١) أخرجه مسلم (برقم ١٦٢/ ٢٥٩)، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨١٤).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٣٤).

(٤) الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي للشيخ التويجري (٨٨) بتصرف. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨١٣).

المبحث الرابع : حُكم التبرّك ببعض الجبال والمواضع

التبرّك بمثل هذه الأماكن لا يجوز، بل هو من التبرّك الممنوع.

ومن أظهر مظاهر هذا التبرّك الممنوع: التقبيل أو التمسّح، أو الطواف، أو قصد أداء العبادات، كالصلاة والدعاء والذكر ونحو ذلك.

قال ابنُ تيمية رحمه الله: مَن قصَد بُقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشدّ من بعض، سواء كانت البقعة شجرة، أو عين ماء، أو قناة جارية، أو جبلاً، أو مغارة، وسواء قصدها ليُصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخصّ تلك البقعة بنوع من العبادات التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به، لا عينًا ولا نوعًا، وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دُهنًا لتنوّر به[1].

الأدلة على منع التبرّك بتلك الجبال والمواضع:

يُمكن بيان هذه الأدلة من وجهين:-

أحدهما: أنّ هذا التبرك مخالفٌ لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، ثم مَن بعدهم من السلف الصالح، فلم يُنقل عنهم شيء منه، وإنما فعله بعض الخلف المتأخّرين، بدون دليل شرعي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينًا بدعة هذا التبرك- بعد أن ذكر شيئًا من مظاهره: ومن المعلوم أنه لو كان هذا مشروعًا مستحبًا يثيب الله عليه، لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك، ولكان يعلّم أصحابه ذلك، وكان

---

(١) الاقتضاء (٢/ ٦٤٤).

أصحابه أعلم بذلك، وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقُربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدّين ما لم يأذن به الله[1].

الوجه الثاني: هناك مُقدّمات وقواعد مهمة تتعلق بأحكام هذا النوع من التبرّك ونحوه، لا بُد من بيانها وبسطها، وذلك كما يأتي:-

أولاً: أنّ التبرّك بتلك الجبال والمواضع هو سببُ تعظيمها غالبًا، والواجبُ الاقتصار على ما عظّمه الشّرع منها فقط، وعلى الوجْه الذي شرعه أيضًا. ولهذا فإنّ العُلماء كرهوا أداء الصّلاة مثلاً عند الأماكن التي لم يُعظّمها الإسلام، ولو لم يقصد التعظيم، سدًّا للذريعة.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن الصّلاة في تلك الأماكن: الذي ينبغي تجنب الصلاة فيها، وإن كان المصلي لا يقصد تعظيمًا، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى تخصيصها بالصلاة فيها، كما ينهى عن الصّلاة عند القبور المحققة، وإن لم يكن المصلى يقصد الصّلاة لأجلها[2].

ثانيًا: قد يرى البعض قياس مواضع العبادة ونحوها على الكعبة في التقبيل أو المسح، أو الطواف، بجامع التعظيم.

ويُمكن أن يجاب على هذه الشبهة بما يأتي:-

١ - أن القياس لا يجوز في العبادات باتفاق المسلمين؛ فهي توقيفية- كما

---

(١) المصدر السابق (٢/٧٩٨).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٦٥٠، ٦٥١).

هو معلوم- وهذه الأفعال (التقبيل والمسح والطواف) من أنواع العبادات بلا شكّ، لأنّ أصحابها يقصدون بها التقرّب وطلب الخير والأجر.

٢- أنّ التقبيل والمسح والطّواف من خصائص الكعبة أو بعض أجزائها، لا يُشاركها فيه شيء من الجمادات الأخرى.

وهذه قاعدة مجمَلة سأفصّلها بما يأتي:-

أ- تقبيل الجمادات خاصّ بالحجر الأسود فقط اتباعًا للرسول ﷺ.

وقد ثبت في الصحيحين أنّ عُمَر بن الخَطّاب ﷺ جَاءَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: **«إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»**[١].

فقد أكّد الفاروق ﷺ أنه لولا أنّ الشارع أمر بتقبيل هذا الحجر ما قبلناه، فلا يُقاس عليه إذن غيره من الأماكن المقدّسة الأخرى.

وقد نصّ شيخ الإسلام ابن تيمية على أنّه ليس في الدنيا من الجمادات ما يُشرع تقبيلها إلّا الحجر الأسود[٢].

ب – أمّا المسح: فلا يُمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة؛ لأنّ النبي ﷺ لم يَستلم من الأركان إلّا الرّكنين اليمانيين، باتفاق العلماء[٣].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: أمّا الوقوف عند الملتزَم – بين

---

(١) أخرجه البخاري (٢/١٦٠) ومسلم (٢/٩٢٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٧٩).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٩٩).

الحجر الأسود والباب - فليس فيه تمسّح بحال، إنما هو إلصَاق الوجه والصّدر واليدين اشتياقًا أو أسفانًا على الفراق، وذُلًّا لله تعالى [1].

قال ابن القيم رحمه الله: ليس على وجْه الأرض موضع يُشرع تقبيله واستلامه... غير الحجر الأسود والركن اليماني[2] .

ج- وأمّا الطواف: فخاصّ بالكعبة، كما هو معلومٌ عند جميع المسلمين.

قال ابنُ القيم رحمه الله عند كلامه على خصائص مكّة: ليس على وجْه الأرض بُقعة يجب على كُلّ قادر السّعي إليها، والطّواف بالبيت الذي فيها غيرها[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله عن حُكم الطّواف بغير الكعبة: وأمّا الطّواف بذلك: فهو من أعظم البدع المحرمة، ومن اتخذه دينًا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل[4].

٣- لا يُراد بهذه الأمور الخاصة بالكعبة أو بعض أجزائها (التقبيل، والمسح، والطواف) التبرّك بالكعبة، والتماس البركات الدنيوية من أجزائها، إنما المقصود التعبّد لله تعالى والاتباع لشرعه، رجاء المثوبة الأخروية، كما نبّه على ذلك عمر رضي الله عنه عندما قبّل الحجر الأسود.

وقد قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في هذه المسألة: والكعبة نفسها زادها الله تشريفًا لا يتبرّك بها، ولهذا لا يقبّل منها إلا الحجر الأسود فقط،

---

(١) فتاوى ابن إبراهيم (١٢/٥) بتصرف.
(٢) زاد المعاد (٤٨/١).
(٣) المصدق السابق.
(٤) مجموع الفتاوى (١٢١/٢٦).

ولا يمسح منها إلّا هو والركن اليماني فقط، وهذا المسح والتقبيل المقصود منه طاعة رب العالمين واتباع شرعه، ليس المراد أن تنال اليد البركة في استلام هذين الرّكنين[1].

ثالثًا: من القواعد المهمّة هنا ما قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن إحدى فتاواه، حيث **قال رحمه الله:** ليس في شريعة الإسلام بقعة تُقصد لعبادة الله فيها بالصّلاة، والدّعاء، والذّكر، والقراءة ونحو ذلك إلّا مساجد المسلمين ومشاعر الحج[2].

وأوضح هذا في موضع آخر رحمه الله، فقال: وأمّا غير المساجد ومشاعر الحج، فلا تُقصد بقعة لا للصّلاة ولا للذّكر ولا للدّعاء، بل يُصلي المسلم حيث أدركته الصّلاة، إلا حيث نهى، ويذكُر الله ويدعوه حيث تيسر من غير تخصيص بُقعة بذلك ، وإذا اتخذ بُقعة لذلك - كالمشَاهد - نُهي عن ذلك[3].

ولا ريب أنّ تلك المقدّمات، والقواعد السابقة مفيدة في معرفة بعض أحكام مسائل التبرك، ومنها حُكم التبرّك ببعض الجبال والمواضع، حيث قد اتضح لنا- بالإضافة إلى الوجه الأوّل- النهي عن ذلك والمنع منه.

حُكم السّفر إلى تلك المواضع:

إذا كانت المواضع والأماكن السابقة لا يجوز التبرّك بها كما تقدّم، فإنّ السفر وشدّ الرجال إليها لهذا التبرّك لا يجوز من باب أولى.

---

(١) فتاوى ابن إبراهيم (١٢/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٧/٢٧-١٣٨)، والاقتضاء (٨١٦/٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٧٧/١٧).

ومن الأدلّة على عدم الجواز: عمومُ قوله ﷺ: «**لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ...**»[1].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: هذا النهي يعمّ السّفر إلى المساجد والمشاهد، وكُل مكان يُقصد بالسّفر إلى عينه للتقرّب، بدليل أنّ بَصْرَةَ ابن أبي بَصْرة الغفاري لما رَأى أبا هُرَيرة رَاجعًا مِن الطّور الذي كَلّم الله عَليه مُوسَى، قَال: لَو رَأيتُك قَبْل أنْ تَأتيه لم تَأته، لأَنّ النّبي ﷺ قال: «**لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ**»[2].

قال الألباني رحمه الله: والحديث عام يشمل المساجد وغيرها من المواطن التي تقصد لذاتها، أو لفضل يُدّعى فيها، ألا ترى أنّ (أبا بصرة رضي الله عنه)[3] قد أنكر على أبي هُريرة سفره إلى الطّور، وليس هو مسجدًا يُصلي فيه، وإنما هو جبل كلّم الله فيه موسى عليه السلام، فهو جبل مُبارك، ومع ذلك أنكر أبو بصرة السّفر إليه[4].

ذكر بعض الأماكن والمواضع والجبال التي يتبرك بها تبركًا ممنوعًا:

منها:-

أولاً: بعض المساجد:

من هذه المساجد التي يتبرّك بها تبرّكًا ممنوعًا:-

---

(١) **صحيحٌ**: تقدّم تخريجه.

(٢) **صحيحٌ**: النسائي (١٧٦٦)، وأحمد (٢٣٩٠١)، واللفظ له، ومالك في الموطأ (١/١٠٨، ١٠٩)، كلهم من حديث بصرة.

(٣) هناك رواية أخرى تفيد أنّ كنية هذا الشخص (أبو بَصرة). راجع: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٢٤) والفضائل لعبد الواحد المقدسي (ص٤١).

(٤) انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (٤/١٤٣).

١- **مسجد الراية:** هذا المسجد مُقام حاليًا بشِعْب عامر، على الطريق المتّجه إلى المسجد الحرام[١].

يقال: إنّ النبي ﷺ صلى فيه المغرب، وركز رايته يوم فتح مكة[٢].

٢- **مسجد الجن:** بمكة، على شارع المسجد الحرام، يُقال عن مكانه: إنه موضع الخط الذي خطّ رسول الله ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه ليلة استمع إليه الجن[٣]، ويعرف أيضًا بمسجد الحرس.

٣- **مسجد الإجابة:** يقال: إنّ النبي ﷺ صلى فيه وهو بمكّة.

٤- **مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:** ويسمّى: دار الهجرة، يُقال: إنها كانت دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي ركب منها مع النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة.

٥- **مسجد بيعة العقبة:** بمنى، أي الموضع الذي بايع النبي ﷺ فيه الأنصار رضي الله عنهم.

قال ابنُ تيمية رحمه الله: الأنصار رضي الله عنهم بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة بالوادي الذي وراء جمرة العقبة، لأنه مكان منخفض قريب من منى، يستر مَن فيه، فجاءوا مع قومهم المشركين إلى منى لأجل الحج، ثم ذهبوا بالليل إلى ذلك المكان لقربة وستره، لا لفضيلة فيه، فلم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه، ولهذا لما حج النبي ﷺ هو وأصحابه لم يذهبوا إليه، ولا زاروه.

---

(١) انظر: أشهر المساجد لسيد عبد المجيد (١/ ٩٤-٩٥).

(٢) أخبار مكة الأزرقي (٢/ ٢٠٠)، وإعلام العلماء للقطبي (ص١١٦).

(٣) أخبار مكة (٢/ ٢٠١).

ثم قال: وقد بُني هناك مسجد، وهو مُحدَث[1]. انتهى.

فإذا كانت تلك المساجد التي صلى ونزل بها النبي ﷺ لا يجوز التبرك بها، فمن باب أولى يحرم التبرّك بالمساجد التي دُفن فيها الأولياء والصالحون، كمسجد الحسين، ومسجد السيدة زينب، والسيدة نفيسة، وكُلّ مسجد – سواء كان فيه قبر أم لا – ما عدا الثّلاثة مساجد المذكورة، في الأحاديث الصحيحة كما تقدّم، والتبرّك بها على الوجه الشرعي، كما بيّنا ذلك.

ثانيًا: الجبال:

ذكر بعض المؤلفين، ولاسيما المؤرّخون أنّ في مكة جبالًا مُباركة يُستجاب الدّعاء بها[2]. ولا ريب أنّ هذه دعوى لا دليل عليها سوى أن الرسول ﷺ تعبّد أو أقام ببعضها حينًا، ونحو ذلك.

وقد تقدّم بيان منع التبرك بآثار بالرسول ﷺ الأرضية، وأنّ ما فعله ﷺ لغير قصد التشريع فلا يُشرع.

قال صديق خان رحمه الله بعد أنْ ذكر بعضًا من تلك الجبال: وليست زيارة شيء من هذه الجبال بسُنة[3] .

ومن أمثلة هذه الجبال التي يتبرّك بعض الناس بزيارتها ما يأتي:-

١- جبل حراء: ويُسمّى أيضًا: جبل النور، وهو شرق مكة، وفي الجبل غار يُسمّى (حراء)، كان ﷺ يتعبّد فيه قبل نزول الوحي عليه[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٧٨) بتصرف، (٢٦/١٣٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: رحلة ابن بطوطة (ص١٤٠)، وآثار البلاد للقزويني (ص١١٨ -١١٩).

(٣) رحلة الصديق إلى البيت العتيق (ص١٥).

(٤) معجم البلدان للحموي (٢/٢٣٣)، وشفاء الغرام للفاسي (٢/ ٢٨٠).

وهذا الغار لا تُشرع زيارته، ولا الصعود إليه، ولا قصده للصلاة، ولا الدعاء، ولا لأي نوع من أنواع العبادة، ولا يتعلّق به ولا بالجبل الذي هو فيه أحكام للحج أو العمرة، وإنما كان رسول الله ﷺ يخلو فيه عن أهل الجاهلية وأوحالها، وبعد أن أكرمه الله تعالى بالنبوة ترك ذلك، وهكذا أصحابه رضي الله عنهم[1].

٢- جبل عرفات: ويُسمّى: جبل الرحمة، وقد افتتن بعض العامة من الحُجّاج بهذا الجبل، وصاروا يتبرّكون به.

ومن المظاهر الموجودة لهذا التبرك: الحرص على الصلاة أو الدعاء فوق الجبل، أو الطواف حول الشاخص الموضوع أعلاه، بل الصّلاة حوله من جميع الجهات، حتى لو استدبر المصلي جهة القِبلة.

ومنها: أكلُ تراب الجبل، أو التمسّح به، أو مسحه بالعيون أو أي موضع في الجسد يُؤلم استشفاءً، أو وضع بعض أجزاء من الجسد، كالظّفر، أو الشّعر في الجبل تبرّكًا.

ولا شكّ أنّ هذه المظاهر ونحوها من البدع المحدَثة المحرّمة، وأنّ هذا الجبل لا يُشرع صعوده، ولا الصّلاة عنده، فضلاً عن الطّواف، وهذا باتفاق العُلماء، وإنما السّنة الوقوف بعَرفات عند الصّخرات، حيث وقف النبي ﷺ، أو بسائر عرفات.

وأمّا تقبيل شيء من ذلك، أو التمسّح به، ونحو ذلك: فالأمرُ فيه

---

(١) من رسالة أصدرتها الأمانة العامة للتوعية الإسلامية بعنوان: وصايا لضيوف الرحمن (١٢) بتصرف. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٥) وما بعدها.

أظهَر؛ إذ قد عُلم بالاضطرار أنّ هذا ليس من شريعة رسول الله ﷺ[1].

وغير ذلك من الجبال، كجبل أبي قبيس، وهو الجبل المشرف على الصّفا، وكان يُسمّى في الجاهلية: الأمين، سُمي بهذا لأنّ الرّكن كان مُستودعًا فيه عام الطوفان، فلما بني إبراهيم عليه السلام البيت ناداه أبو قيس: إنّ الركن في موضع كذا وكذا، كذا قيل، والله أعلم[2].

وكذا جبل ثبير، وهو جبل عظيم بقُرب منى، يقصده النّاس الزائرين مُتبرّكين به، لأنّه أُهبط عليه الكبش الذي جعله الله فِدَاء لإسماعيل عليه السلام[3].

كُلّ هذا من التبرّك الممنوع؛ لما تقدّم من أدلّة.

ومثله في الحُكم: التبرّك ببعض دور الصّالحين، كدار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وهي عند الصّفا.

وكذا المقابر، كمقبرة المعلاة (الحجون)، وقد ذكر بعض العُلماء - لاسيما المؤرّخون - بعض الآثار والحكايات عن فضلها وبركتها، وأنّ الدّعاء يُستجاب عندها[4]. ومع أنّ هذه المقبرة قد حوَت كثيرًا من سادات الصّحابة والتابعين، وكبار العلماء والصالحين رضي الله عنهم جميعًا، إلا أنّ هذا لا يعني جواز التبرّك بها بأي وجْه من الوجُوه، وإنما المطلوبُ

---

(١) الاقتضاء (٢/٨٠١، ٨٠٢). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٦/١٧٣)، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (٩٤).

(٢) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٧/٧٤)، وأخبار مكة الأزرقي (٢/٢٦٦).

(٣) انظر: آثار البلاد للقزويني (١١٩)، وشفاء الغرام (٢/٢٨٢).

(٤) أخبار مكة للفاكهي (٤/٥٠)، وأخبار مكة للأزرقي (٢/٢٠٩) فما بعدها، وشفاء الغرام للفاسي (١/٢٨٤) فما بعدها.

الاقتصار على الزّيارة الشّرعية المعروفة، كما تقدّم.

ومما يجب مُلاحظته هناك أنّه لا يُعرَف قبرُ أحَدٍ بعَينه من الصّحابة رضي الله عنهم في مكّة وما حولها، سوى قبر أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها[1].

ونكتفي بهذا القَدْر مِن بيان أنواع التبرّك وأحكامه والمشروع منه والممنوع.

تمّ بحَمد الله.

(١) انظر: شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي (١/٢٨٧).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	١
الفصل الأوّل : في معاني البركة والتبرّك	٤
المبحث الأول: معنى البركة	٥
مسألة: معنى التبريك، ومعنى تبارك	٦
اختلاف أهل اللغة في بيان معنى "تبارك"	٦
المبحث الثاني: البركة والتبرك في القرآن	١٠
الفصل الثاني : أنواع الأمور المباركة	١٢
المبحث الأول: بركة القرآن الكريم.	١٤
المبحث الثاني: بركة الأنبياء.	١٧
المبحث الثالث: الصالحون.	٢١
المبحث الرابع: المساجد.	٢٦
المبحث الخامس: المبارك من الأزمنة.	٢٩
الفصل الثالث: التبرّك المشروع وبيان كيفية وما يجوز أن نتبرك به	٣٣
مدخل	٣٤
المبحث الأول: التبرّك بذكر الله.	٣٥

مطلب: كيفية التبرك بالذكر. ٣٦
بركات الذكر. ٣٨
المبحث الثاني: كيفية التبرّك بالقرآن. ٤٠
المبحث الثالث: المشروع من التبرّك بالنبي ﷺ. ٤٢
المبحث الرابع: هل يجوز التبرّك بالصالحين قياسًا عليه ﷺ؟ ٥٤
المبحث الخامس: هل التبرّك بالصالحين ممنوع مطلقًا؟ ٦١
الفصل الرابع : التبرّك الممنوع ٦٥
المبحث الأول: التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته. ٦٧
المبحث الثاني: هل يجوز التبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها الرسول ﷺ؟ ٨٢
المبحث الثالث: حكم التبرك بمكان ولادة الرسول ﷺ. ٩٧
المبحث الرابع: حكم التبرك ببعض الجبال والمواضع. ١٠٠
فهرس الموضوعات ١١١